المؤلف
الحائز على
جائزة نوبل للآداب
1980

تشيسواف ميـــووش

أشعار مختارة من دواوينه

ترجمها عن البولندية

محمد هناء عبد الفتاح متولي • دوروتـا متـولـي

المــؤلف:

تشيسواف ميووش

ولد الشاعر "تشيسواف ميووش" في 30 من يونيو عام 1911 بمدينة "شيتينيه" بـ "ليتوانيا".
درس في عام 1929 العلوم الإنسانية بالجامعة البولندية " ستيان باتوري " ، ثم درس بعد ذلك القانون بـ " كلية الحقوق والعلوم الاجتماعية".
في عام 1930 بدأ " شاعرنا " بكتابة قصيدته الشعرية تحت عنوان "التكوين والتّرحال".. ومن أهم دواوينه الشعرية: " قصائد شعرية عن الزمن الساكن " ، و " ثلاثة شتاءات "، و " أناشيد الاستقلال"، و " ضوء النهار" ، و" معاهدة أخلاقية " ،و " ملك الرماد وقصائد أخرى " ، و" الإنسان من بين العقارب "، و " جوتشو المسحور " ، و " مدينة بلا اسم".
كما صدرت له روايات عديدة ، منها : " الحساب " ، و "الحصول على السلطة "، و " الاستحـواذ على السلطة "، و " دلتا إيسي"، و " عائلة أوروبا " و" القارات " .. ومن أبرز كتبه:"دفاع عن الوطن"،و" الفكر الذي لم يتحرر بعد " ، و " الشعر البولندي فيما بعد الحرب "، و " تاريخ الأدب البولندي "، و " رؤية خليج سان فرانسيسكو".
حصل على جوائز عديدة ، كان أبرزها : جائزة نوبل في الأدب عام 1980، وجائزة جوجينهايم ، وجائزة نيوشتاد ، وجائزة الدكتوراه الشرفية من جامعة لوبين في بولندا..
توفي في 14 أغسطس عام 2004.

المترجمان:

محمد هناء عبد الفتاح متولي

دوروتا متولي

د. محمد هناء عبد الفتاح متولي، ولد عام 1944، حاصل على ماجستير فنون، تخصص إخراج درامي ومسرحي من أكاديمية المسرح في وارسو (بولندا)، قسم الإخراج .. ودكتوراه في العلوم الإنسانية من الجامعة نفسها .. يعمل أستاذًا أكاديميًا محاضرًا في الجامعة الأمريكية بالقاهرة وأكاديمية الفنون، وجامعة وارسو(معهد الاستشراق) في بولندا وجامعة 6 أكتوبر..

حصل على جوائز عديدة، ومنها: جائزة الدولة التشجيعية 1998م، وجائزة اتحاد الأدباء البولندي 2000 م .. له ترجمات عديدة من أبرزها: " الملاح " 2007 م، و" الأم المعذبة " 2008 م ،.. كما أن له مقالات ودراسات مسرحية عديدة، نشرت في أشهر المجلات الأدبية المصرية والعربية، مثل: " الفن المعاصر"، و"سطور"، و" فصول"، و " الكويت " ، و" الأقلام " ،و " عالم الفكر" .. ومن أهم مؤلفاته : " ملامح من المسرح البولندي التجريبي المعاصر" 1994م، و " الاتجاهات الجديدة في المسرح البولندي " 1998م . كما شارك في ندوات دولية، كان أبرزها : ندوة " ملامح الدراما والمسرح المصري الجديد " في بولندا 2007 م، وندوة " التجريب المسرحي والتكنولوجيا " في مصر 2007 م .. كما قام بإخراج مسرحيات كثيرة، مثل: " القافلة " بولندا 2006 م ، و " مغامرات البحار سندباد" بولندا 2006، و " ليالي الحصاد" مصر 2006 م..

والسيدة .. دوروتا متولي ، المترجمة المشاركة في الكتاب ، هي زوجة د . محمد هناء ورفيقة مسيرته الاجتماعية والعلمية .. شاركته في كتابة سيناريوهات لأعمال مسرحية كثيرة، قام هو بإخراجها...

من الشعر العالمي المعاصر

تشيسواف ميـــووش

أشعار مختارة من دواوينه

الطبعة الأولى : 1430هـ ــ 2009 م
ردمك 9-498-427-977
جميع الحقوق محفوظة «كلمة» والدار المصرية اللبنانية

كلمة
KALIMA

ص .ب 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة.
هاتف : 26314468 971 + فاكس : 26314462 971 +
www.kalima.ae
info@kalima.ae

الدار المصرية اللبنانية
16 عبد الخالق ثروت القاهرة - تليفون: 23910250 202 +
فاكس : 23909618 202 + ــ ص.ب 2022
www.almasriah.com info@almasriah.com
رقم الإيداع : 10828 / 2009

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل البولندى لكتاب :
Czestaw Mitosz "Poezje Wybrane" (Selected Poems)
© Copyright by Czestaw Mitosz Kraków

إن هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) والدار المصرية اللبنانية ، غير مسئولتين عن آراء المؤلف وأفكاره ، وتعبرّ الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف ، ولا تعبرّ بالضرورة عن آراء الهيئة والدار المصرية اللبنانية .

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

من الشعر العالمي المعاصر

تشيسواف ميووش

أشعار مختارة من دواوينه

ترجمها عن البولندية

محمد هناء عبد الفتاح متولي • دوروتا متولي

راجع الصياغة : فاروق شوشة

كلمة
KALIMA

الدار المصرية اللبنانية

المحتويـات

الموضـــــوع	الصفحة
مقدمة الشاعر	13
مقدمة المترجمين	19
ثلاثة شتاءات (1936)	35
أغنية	37
ترتيلة	41
النهر المتباطئ	45
من ديوان الإنقاذ (1945)	49
لقاء	51
أغنية لـ «ليڤالوا – Levallois»	52
كامبو داي فيوري	54
العالم	58
البوابة	60
رواق الحديقة	61
قاعة طعام	62
السلم	63
لوحات	64
الأب في المكتبة	65
تعاويذ أبوية	66

الموضـــــوع	الصفحة
عبر النافذة	67
الأب يشرح	68
أمثولة عن «الخشخاش»	70
عند زهور «الفاوانيا»	71
إيمـان	72
أمـــل	73
الحب	74
رحلة إلى الغابة	75
مملكة الطيور	76
الخوف	77
اكتشاف	78
الشمس	79
أصوات البشر الفقراء «أغنية عن نهاية العالم»	80
تراتيل مواطن	82
الشاعر المسكين	85
المقهى	87
مسيحي فقير ينظر نحو «الجيتو»	89
عند الضاحية	91
وداع	93
في وارسو	96

الموضـــــوع	الصفحة
تكريس (إهداء)	99
مختارات من ديوان «ضوء يومي» (1953)	101
أغنية حول الخزف الصيني..	103
طفل أوروبا	105
«ميتيلبيرجايم–MITTELBERGHEIM–بلد يقع ما بين الجبال»...........	111
من ديوان : «معاهدة شعرية» (1957)	113
مدخل	115
من «روح التاريخ»	117
ملك الرماد وقصائد شعرية أخرى (1962)	121
الملك «بوبييل»	123
طائر العقعق	125
تعاليم	126
لا أكثر	128
قصيدة غنائية لطائر	130
السعادة	132
ما الذي كان كبيرا	133
هيراقليطس	134
بورتريه يوناني	136
الـمُعلم	137
من قصيدة «عبر أراضينا»	140

الموضـــــوع	الصفحة
مختارات من ديوان «جوتشو المسحور» - المسخ (1965)	141
«جوتشو المسحور»	143
الأنهار تتضاءل	149
إنهم يضعون هناك الشاشات	150
وتشرق هذه المدينة	151
هذه الممرات	153
أنام كثيرا	155
ديثرامب - DYTHRAMB	157
مختارات من ديوان : «مدينة بلا اسم» (1969)	159
عــام	161
قصيدة من ديوان : «مدينة بلا اسم»	162
عندما تشرق الشمس	164
مبدع Veni أو «ڤيني كرييتور» أي «VENI CREATOR»	165
نافذة	166
البياض	167
تعويذة	168
فن الشعر؟	170
أشعار متناثرة (1954 - 1969)	173
(إيسي- ESSE)	175
رسالة	177

الموضـــــوع	الصفحة
مهمة	181
ساعة	182
قراءة	183
عقيدة اقتصادية	185
النبأ	187
القليل	189
عن الملائكة	191
فصول السنة	193
هبـة	194
من ديوان «عندما تشرق الشمس»	195
ترنيمة حول لؤلؤة (1981)	199
الجبل السحري	201
منظر	204
سكرتير	205
برهان (دليل)	206
دهشة	207
فيلينا	208
مذكرات	210
من قصيدة «دفتر ملاحظات منفصل» (1977 - 1979)	215
شارع ديكارت	218

الموضـــــوع	الصفحة
أنهار	220
من ديوان «أرض بعيدة المنال» (1986)	223
أنّا لينا	225
شتاء	227
عام 1913	229
إعداد	231
الوعي	233
حول الصلاة	239
مائدة رقم (1)	240
هويتي	241
شاعر في السبعين	242
تسلسل التاريخ (1987)	245
فقط هذا	247
في جَـرَّةٍ	248
بورتريه مع قط	249
مريم المجدلية وأنا	250
كيف ينبغي أن يكون في السماء / الفردوس	251
إنها الكتب	253
في وداع زوجتي «يانينا»	254
خط سكة حديد ترانس - سيبيريان	256

الموضـــــوع	الصفحة
العرض الأول (1913)	259
ست محاضرات شعرية	260
«الضواحي التالية» (1991)	273
الحداثة	275
آدم وحواء	276
أمسية	277
خلق العالم	278
«ليناوس»	281
المجسد	285
السيد « هانوسيڤيتش»	287
الشوك والقرَّاص	290
مصالحة	291
قصيدة من ديوان «ضواحٍ جديدة»	292
الشباب	293
حديث مع «چان»	295
تأمل	297
بَهجةُ السَّرْخَس	299
ديسمبر (1)	300
دانتي	301
مَعْنَى	303

الموضـــــــوع	الصفحة
«فوق حافّة النّهر» (1994)	305
في عمر معين	307
تقرير	308
ليتوانيا، بَعْدَ اثنين وخَمْسين عامًا	311
قصر (إقطاعية)	313
الجِوار (مِنْطَقة مُـجاوِرة)	315
«أحب هذا!» أو «حُورِيّة الماء»	316
مَنْ؟	318
مدينة الشباب	319
الـمَرْج	320
الواقعيّة	321
هذا العالم	323
إلى السـيدة البـروفيسـور في الــدفـاع عـن شـرف «قِطٍّ» وليس هذا فقط!!	324
أَحْداثٌ في مكان آخر	327
جَسَدٌ	330
في « شيتينيه – Szetejnie»	332

مقدمة الشاعر

«ما بعد الكلمات»

ظننت وأنا أعيش هذه الفترة الطويلة في أمريكا أنه كان ينبغي عليَّ أن أبدأ كتابة شعري بالإنجليزية ، أو على الأقل ، أن أبدأ اجتذاب قراء شعري عبر ترجمتي شعري إلى الإنجليزية . ومع ذلك فقد ارتأيت ، بناء على الافتراض القائل بأن الشعر يمكن كتابته فقط بلغة الشاعر التي تعلمها في طفولته ، ألا أجرب أن أغير لغة كتابة شعري . إن قصيدتي الشعرية أو على الأصح الرسالة الشعرية التي سطرتها بالإنجليزية إلى الفيلسوف والروائي الهندي «راجا راو - Raja Rao» ، هي شيء استثنائي في شعري . ومن الطبيعي أنه يمكن أن تتم الرغبة في الوصول إلى القارئ الأمريكي ، عبر ترجمة أشعاري وكتاباتي النثرية من لغتها البولندية الأصلية إلى اللغة الإنجليزية ، وبعد مرور سنوات طوال ، آمنت أن هذا أمر يمكن تحقيقه .

عند ترجمتي قصائد غيري من «الشعراء البولنديين المنتمين لفترة «ما بعد الحرب» ، أصبحتُ معروفا باعتباري مترجمًا ومدير تحرير كتاب ، وضعت فيه من ترجمتي «مقتطفات أدبية مختارة» تحت عنوان « Post - War Polish Poetry» الصادر في عام 1965 . لقد كسبت اعترافًا وتقديرًا كبيرين من القراء الذين رأوني كاتبًا روائيًّا فقط ، وللسبب ذاته لم أصبح شاعرًا في أمريكا ، بل كاتبًا روائيًّا . كان على كل هذا أن يتغير تغيرا كاملا ، وتغير الأمر برمته لتصبح أشعاري - وقد ترجمت إلى الإنجليزية - متاحة للقراء وفي متناول اليد .

بفضل موهبة الترجمة وحسها والعمل المتواصل لعدة أشخاص ، أتقدم لهم بالشكر الجزيل ؛ صدرت دواويني الشعرية باللغة الإنجليزية . كان هـؤلاء - قبل كل شيء - طلبتي بجامعـة كاليفورنيـا في «بـيركلي - Brekeley» ، ومـن بيـنهم «ريتـشارد لوارييـه - Richard lourie» ، و«لـويس إيريبـان - Louis Iribarne» ، و«ليليـان ڤاليـي - Lillian Valee» . كـان هـؤلاء الثلاثـة متخصصين في الأدب البولندي بشكل عام ، يقومون بترجمته والتقـديم لـه ، وليس مجرد ترجمة أعمالي الأدبية. لكن الجزء الأول من ترجمة مختارات أشعاري إلى اللغة الإنجليزية تم على يد مترجمين متنوعين ، تسبقها مقدمة بقلم «كينيث ريكسروث - Kenneth Rexroth» وكان من الشعراء الأمـريكيين المتمرسين آنذاك ، وصدرت في كتاب «مختارات شعرية» 1973 . وكانت هذه المختـارات من «دواوينـي الـشعرية» . أمـا الجـزء التـالي الـذي صـدر بالإنجليزيـة فهـو «أجـراس في الـشتاء - Bells in Winter» عـام 1978 ، وكـان نتيجـة عمـلي المشترك مـع «ليليـان ڤاليـي» ، معتمـدًا عـلى القـصائد الـشعرية التـي قمـت بإعدادها للترجمة ، وكنت أقوم بعد ترجمتها بقراءتها قـراءة دقيقـة فـضلًا عـن مراجعتها . وقد نال هذان الكتابان اللذان احتويا على ترجمة قصائدي الشعرية عن اللغة البولندية إلى الإنجليزية استحسان النقاد . وقد جعلنـي هـذا الأمـر أتيقن من أنه في نهاية الأمر ، يمكن لشعري أن يجد صدى عند قراء الشعر من الأمريكيين . وأعتقد كذلك أنه بفضل هذه الترجمـة لأشـعاري ، حـصلت في عام 1978 على الجائزة الأدبيـة الدوليـة «نيوشـتادت - Neustadt» ، وجـائزة «نوبل» عام 1980 .

في عـام 1980 تقـدمت «ريناتـا جورتشينـسكا - Renata Gorczynska» برغبتها في ترجمة أشعاري بحجم أكبر ؛ بهدف إنشاء ما أطلق عليه بـ «مجموعة الأصدقاء» التي تكونت في البدايـة منهـا ومـن شـاعرين ، يعـدان مـن أبـرز

الشعراء الأمريكيين ، هما : «روبرت هاسيم – Robert Hassem» و «روبـرت بينسكي – Robert Pinsky» .

منذ ذلك الوقت ، وهذه الأسماء الثلاثة تتكـرر في ترجمات أشـعاري .. لم يكن كل من «هاس» و« بينسكي» يعرفان اللغة البولندية ، وبعـد مراجعـاتها الطويلة والدقيقـة لترجمـات «ريناتـا» لقـصائدي الـشعرية مـن البولنديـة إلى الإنجليزية ؛ منحا قصائدي صياغتها الـشعرية في اللغـة الإنجليزيـة . وبهـذه الطريقة ظهر في الوجود عـدد معـين مـن ترجمـات قـصائدي الـشعرية ، دون اشتراكي في ترجمتها .. ومع ذلك اقتحمت مشاوراتي المضنية مسار الاشـتراك تدريجيًّا مع هذه المجموعة التي قامت بالترجمة ، وقد حـدث تغـير في مجموعـة المشاركين ، ولم يبق منها إلا اثنان في مقر إقامتي في «بيركلي» : «هاس» و«أنا» .

كثير من العطاء .. كثير من التكريس والتفاني .. كثير مـن الـساعات التـي قضيناها معًا في البحث عن الكلـمات الملائمـة – فكيـف لي ألَّا أكـون معترفًـا بجميل «هذا الفريق من الأصدقاء؟» كان «روبرت هاسيم» مـن أكثـر الـذين عملت معهم طويلا ، وكان عملنا المشترك يتسم بالتكامـل . دائـما مـا كانـت تقنية العمل واحدة : أقوم أنا بالترجمة مقترحًا البنية الإيقاعية ، ثـم بعـد ذلـك يستفيد النص من التغيرات التي يقترحها «هاسيم» ، باعتباره أمريكيًّـا يملـك أذنًا تصغي إلى اللغة الإنجليزية ، بحيث تكـاد لا تختلـف كثـيرًا عـن أي لغـة شاعر إنجليزي الأصـل . لـيس بمقـدوري فى هـذا المكـان أن أتجاهـل أيـضًا أولئك الذين رغبوا أو اقترحت عليهم الاشتراك في الترجمة ، وبـذلوا جهـودًا كبيرة في القيام بهـا . إنهـم : «بيتر دالي سـكوت» الـشاعر أستاذ فقـه العلـوم الإنجليزية ، و«ليونـارد ناثـان – Leonard Nathan» الـشاعر وأسـتاذ علـوم البلاغة والبيان ، الذي شارك في ترجمة أشعار الشاعر البولندي المعاصر الكبير

«زبيجنييف هيربرت – Zbigniew Herbert» ، والمشاركان في ترجمة شعري : «ألكسندر فات» و«أنّا شفيرشتشنسكا» أستاذ الأدب السلافي ، وترجمة أعمال الكاتب الطليعي البولندي «إيجناتسي ڤيتكيڤيتش» ، وقد ترجمتْ له مسرحية «الجشع»، كما ترجمت «الزواج» للكاتب المسرحي الطليعي «ڤيتولد جومبروڤيتش» ، فضلًا عن ترجمتها عملي الروائي «وادي (إيسا)» ، وأذكر هنا أيضًا شاعرين قاما بالمشاركة في ترجمتي لأعمالي ، هما الشاعران : «يان داروڤسكي» و«چون كاربنتر» .. الأول يعيش في لندن ، والآخر في «آن أربور» بأمريكا .

صدرت لي – إذًا – دواوين شعرية متتالية : «كراسة منفصلة – The Separarte Notebooks » 1984 ، في لغتين : (البولندية والإنجليزية) ، والبقية في اللغة الإنجليزية فقط : «أرض بعيدة المنال – Unattainable Earth» 1986 ، و«الضواحي التالية – Provinces» 1991 ، «على ضفة النهر – Facing the River» 1955 .

وبفضل وجود هذه الترجمات ، قابلتني واحدة من أغرب ما قابلته في حياتي من مغامرات ، ألا وهي : السفر إلى مختلف الأماكن في الولايات المتحدة الأمريكية ، كي أقرأ أشعاري لهم بالإنجليزية .. هذا التقليد ، قراءة الشاعر لشعره أمام العامة ، قد لعب دورًا كبيرًا في تأثيره وانتشاره ؛ خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية . تم تنظيم معظم هذه القراءات في أماكن الإقامة الجامعية ، وكذلك في صالات المعاهد الفنية ، والمؤسسات والمتاحف ، فانجذبت إليها جماهير انتقائية متعطشة لسماع الشعر . لقد كان الظهور أمام هذه الجماهير في إطار تعاملها مع شاعر أمريكي والعثور على لغة تفاهم متبادل ، يتحدث بلغتهم – كان هذا دوما بالنسبة لي – كشاعر من ضاحية من

ضواحي «فيلنا» ، العاصمة الليتوانية - هبة من الهبات الرائعة التي منحها القدر لي . وكانت هذه جائزتي عن رحلتي إلى المهجر في أمريكا وغرب أوروبا ، ويعتبر هذا اليوم لشاعر مثلي أمرًا مبشرًا بالنجاح على أقل تقدير .

لقد أثرت تجربة القراءة الحية للشعر بصوت الشاعر على التكوين الداخلي، في اختيار قصائد هذا الديوان المختارة . لقد حاولت اختيار أعمال شعرية أقصر ، في مواجهة اختياري لقصائدي الشعرية الطويلة . وبطبيعة الأمر كانت هذه استثناءات ؛ فاختيار شعر كهذا - خاصة في الصفحات الأولى - يذكرني بمرحلة من مراحل كتابتي للشعر ، التي يعود تاريخها إلى مرحلة ديواني الشعري «ثلاثة شتاءات» ، على الرغم من أن هذه المرحلة قد مثلت بشكل غير كافٍ في تاريخ شعري ، واعتبرت أشعاري مجرد إيقاعات شعرية ، مثلت للمترجم عائقًا أساسيًا .

ما الذي يمكن فعله مع إيقاعات شعرية؟ اللغة الإنجليزية هي الأكثر فيما يخص مسألة الإيقاع ، والشعر دون هذا الإيقاع يحيا منذ زمن طويل ، ولكن تقليد القصائد الشعرية بإيقاعات أصولها في اللغة الإنجليزية يمنحها نتائج جيدة . لقد استطاع كلٌ من «روبرت هاسيم» و«روبرت پينسكي» تحقيق نجاح كبير في محاولاتهما نقل إيقاع قصائدي الشعرية إلى إيقاعات اللغة الإنجليزية لدرجة ، تقترب في هذه الترجمة من البهلوانية ؛ فهي أقرب ما تكون إلى الشعر الغنائي في ترجمته قصائد شعرية لي من ديوان «مدينة بلا اسم». وعلى كل حال ، فإن القصائد الشعرية الإيقاعية ، وهي تمثل المرحلة الأولى من إبداعاتي ، غالبًا ما يكون معظمها مهملًا . وجدير بالذكر أيضًا تلك التغيرات المفاجئة في الأحداث والظروف للكلمات في ترجمة القصيدة الشعرية «عالم قصيدة ساذجة» ؛ فالأبيات الشعرية الأربعة تصلح

ترجمتها ، كما لو كانت بمثابة قراءات للأطفال ؛ يمكن تبسيطها باستخدام شكل مبسط في ترجمتها . لقد نجح كل من «جورتشينسكا» و«هاسيم» و«پينسكي» في إبداع ترجمة ، تملك خصوصية في صياغة مشوقة شبه إيقاعية ، عندما نُشرت، ولكنني لم أضم هذه الترجمات لديوان لي تحت عنوان «قصائد مجمعة – The Collected Poems » ، ففي رأيي أن هذه الأشعار المترجمة لى دسمة جدًّا و«ناضجة» أكثر من اللازم بمقارنتها بقصائدي الأصلية ، التي تقترب نحو البساطة في أصولها . لذلك استبعدت ما يوجد في ترجمة القصائد التي تسيطر عليها الإيقاعات ؛ وقدمت ترجمة أدبية خالية من الإيقاع تكاد تكون حرفية بمقارنتها بالنص المترجم من قبلهم . وفي الاختيار الحالي لهذه الأشعار داخل كتابي بين يدي القارئ ، تركت ما ترجموه ووضعته في نهاية الكتاب ؛ ليمكن مقارنته بما ترجمته من شعري .

إن وجود هذا الشعر في لغتين بالنسبة للشاعر هو تجربة ثمينة ؛ فهذا يسمح للمرء بأن يتيقن كم هي متنوعة ردود أفعال القارئ نحو كلمات وأبيات شعر بعينها ، وهذا يتوقف بدوره على تقاليد القارئ وعاداته . فالقراء العارفون باللغتين إنما هم مميزون ؛ لأنه بمقدورهم المقارنة فيما بين اللغتين ، وتحديدا في علاقة إحداهما بالأخرى ، وفي روح القصيدة ذاتها وشكلها ، وفي أنَّ اللغتين توضحان المعنى ؛ ويمكن الاستفادة منهما فيما يمكن أن يطلق عليه تفكيك ، في المختلف عليه اختلافًا مفترضًا .

تشيسواف ميووش

مقدمة المترجمين

تشيسواف ميووش (1911 - 2004)

ولد الشاعر «تشيسواف ميووش» في 30 من يونيو عام 1911 بمدينة «شيتينيه» بـ «ليتوانيا» ، وكان الابن البكر لأبيه «ألكسندر ميووش» وأمه «فيرونيكا» . أثرت مدينة «شيتينيه» تأثيرًا بالغًا في إبداعات «ميووش» الأدبية ودائمًا ما يعود الشاعر بذاكرته إلى ليتوانيا ، التي كانت منضمة إلى الأراضي البولندية آنذاك . لقد أثرت هذه المدينة الصغيرة تأثيرا كبيرًا في إبداعات «ميووش» ؛ إذ كان دائمًا ما يعود في كتاباته إلى ذكريات الطفولة والشباب الذي قضى معظم أيامه في مدينته – على وجه أخص ، و«ليتوانيا» – عامة – بجمالها الطبيعي . وترجع عائلة الشاعر «ميووش» إلى أصول نبيلة قديمة من جهة عائلة أمه .

سوف تصبح طفولته المبكرة الزاخرة بالأسفار والمغامرات المجنونة ، فضلًا عن الأحداث غير العادية ، مادة خصبة لأشعاره في المستقبل . في عام 1913 يسافر تشيسواف مع والديه إلى المدينة الآسيوية «كراسنويارسك» ، وبعدها يرحل إلى روسيا ، لينضم أبوه إلى الجيش الروسي . في عام 1917 يراقب شاعرنا الشاب – عن كثب – ثورة أكتوبر الاشتراكية ، التي وقعت أحداثها في شهر «أكتوبر» ، تحت قيادة «إليتش لينين» ، الذي استطاع أن يطيح بالنظام القيصري ، ويضع بديلا عنه النظام الشيوعي ، الذي يسيطر ويتسيد في ما بعد شرق أوروبا ؛ ويستمر هذا النظام حتى الثمانينيات من القرن

العشرين في شرقي أوروبا . إن تداعيات هذه الفترة التاريخية تبقى حية في إبداعات شاعرنا «ميووش» النثرية ؛ وسوف نكتشفها في رواياته : «وادي إيسي» ، و«عائلة أوروبا» ، وأخيرًا في سيرته المتفردة ، التي سطرها الشاعر بنفسه بعنوان «سيرة حياة تشيسواف ميووش الساخرة».

يعود الشاعر دومًا إلى أحداث هذه السيرة في بعض قصائد دواوينه الشعرية ، التي يتحدث فيها عن الحرب ، ومن بينها قصيدته المهمة «الإنقاذ» ، التي تصبح فيما بعد ديوانًا من دواوينه ، وفي ديوانه الشعري : «فوق ضفة النهر» الذي يحتوي سيرته الذاتية والصادر عام 1994 ، نكتشف بحث الشاعر المضني عن جذوره الذاتية والقومية داخله ، في مواجهة مع الزمن الذي يتغير بلا عودة .. يستعيد «ميووش» هذه الذكريات وتستغرقه ؛ لتصبح مادة ومصدر إلهام أساسيين في أشعاره . أما رحلات الطفولة وصورها المتنوعة ، فتمثل جزءًا لا يتجزأ من ذكريات سفرياته ورحلات المستقبل ، التي تصبح من جديد أحد إلهاماته في كتابته لأشعاره .

في عام 1918 يسكن «ميووش» في موطنه ليتوانيا بمدينة «شيتينيه» ، وفي عام 1921 يدخل المدرسة الثانوية التابعة لمدينة «فيلنا» - عاصمة ليتوانيا - ويطلق عليها مدرسة «الملك زيجمونت أوجوستا» .. في عام 1929 يدرس العلوم الإنسانية بالجامعة البولندية ذات التقاليد العريقة ، وكان يطلق عليها جامعة «ستيفان باتوري» ، يدرس بعد ذلك القانون بـ «كلية الحقوق والعلوم الاجتماعية» . في هذه الفترة الجامعية ينخرط «ميووش» في أنشطة النشاط الطلابي الإبداعي ، الذي كان يطلق عليه «جماعة پولونيا» . في عام 1930 يبدأ «شاعرنا» ممارسة الكتابة بالمجلة الجامعية «ألما ماتير فيلانينيس» ، بادئًا بكتابة قصيدته الشعرية تحت عنوان «التكوين والتِّرْحال» ، وفي العام نفسه يقوم

بزيارة باريس. وللمرة الأولى يلتقي شاعرنا بـ «أوسكار ميووش» الذي تربطه به روابط الدم . وتتحقق لشاعرنا ولمستقبله الأدبي شخصية مستقلة استثنائية غير عادية ، يستفيد فيها من خبراته وتجربته الإبداعية . وبعد الانتهاء من زيارته «باريس» ، يقوم «ميووش» كطالب جامعي بزيارة العاصمة «وارسو» وجامعتها ، وبعدها بفترة قصيرة يعود على الفور إلى «فيلنا» .

في الوقت نفسه تظهر في الوجود مجلة «جاجاري» . ويصبح «ميووش» واحدًا من أهم المشاركين في تحرير هذه المجلة ، وفيها يصدر قصائده الشعرية تباعًا ، مشاركًا في تشكيل تيار أدبي متفرد بقصائده المتمردة ، والمتسمة بطابعها الشعري الثوري «الكارثي» الممثل للوسط الأدبي آنذاك .

في عام 1933 يصدر الديوان الشعري الأول لشاعرنا «ميووش» ، تحت عنوان «قصائد شعرية عن الزمن الساكن» . وفي عام 1934 يحصل شاعرنا البولندي بمدينة «فيلنا» على جائزة أدبية عن كتابه الأدبي الأول ، وفي العام نفسه يحصل على دبلوم القانون ، ويكرر ارتياده لباريس التي قام بزيارتها من قبل ، ولكنه في هذه المرة كان عضو بعثة ، أرسلته بلاده ضمن المخصصات المالية القومية ، وتعتبر هذه البعثة - بدرجة من الدرجات - تتويجًا لإبداعاته الأدبية . يلتقي في باريس من جديد بـ «أوسكار ميووش» - وهو قريب حميم من أقربائه - الذي يؤثر في شاعرنا تأثيرًا كبيرًا في تشكيل مقومات شخصيته ، وإثراء حساسيته الشعرية ، بل في إبداعاته جميعها حتى موت الشاعر .

في عام 1935 يعود «ميووش» إلى بولندا ، ويقرر العمل في إذاعة «فيلنا» - التي كانت عاصمة «ليتوانيا» . وتعد هذه الفترة فترة عصيبة سياسيًا في تاريخ بولندا ، فقد كان حزب اليمين الراديكالي البولندي المتطرف يتدخل دائمًا في

الحياة السياسية للبلاد . أما «ميووش» فقد فصل بعد عام واحد من العمل المستمر النشط ، من وظيفته بالإذاعة لاتهامه بالليبرالية ، وتحليله للأعمال الإبداعية من زاوية منظور جمالي بحت .

في عام 1936 يظهر ديوانه المهم «ثلاثة شتاءات» ، ويمكن أن نعثر في هذا الديوان على سمات مشتركة في إبداعاته أمست طابعًا غالبًا في شعره ؛ من بينها على سبيل المثال لا الحصر : النبرة الغنائية التي يتسم بها شعر «ميووش» ، ويمتزج في داخلها المنظور الإنساني القائم على التكامل التاريخي بالشعور بالمعاناة الإنسانية للفرد داخل المجتمع ، الذي توجهه في معظم الأحوال تجربة العالم المحيط به . ويشغل كل هذا مكانًا متميزًا في ديوانه «ثلاثة شتاءات» ، فضلًا عن ذلك الطابع «الكارثي» الذي تتصف به إبداعات شاعرنا «ميووش» . بهذه النبرة الغنائية الواضحة ، يشيد شاعرنا «ميووش» لنفسه طريقًا ، يصل عن طريقه لأقلام النقاد وقلوب القراء ، ويصبح نجاح شاعرنا الشاب حدثًا مهمًا في الحياة الأدبية البولندية المعاصرة آنذاك .

في عام 1937 يسافر شاعرنا إلى «إيطاليا» . وبعد عودته منها ينتقل بشكل نهائي ، ليسكن في العاصمة «وارسو» البولندية ، حيث يعمل في برامج «الإذاعة البولندية» . وفي العام الأخير من اشتعال الحرب العالمية الثانية ؛ أي في عام (1945) ، يمكن لنا أن نؤرخ للنجاح الأول لـ «تشيسواف ميووش» في مجال كتابته الرواية ؛ فقد حصل «ميووش» على جائزة «بيون» الأدبية في بولندا عن روايته «الحساب» . وعلى الرغم من أننا لا نلاحظ البتة أن شيئًا ما يمكن أن يزيد من نجاحات شاعرنا ؛ خاصة في مجال الكتابة الصحفية في هذه الفترة القلقة (ما قبل اشتعال الحرب التي اندلعت شرارتها الأولى من بولندا ، في سبتمبر عام 1939)، إلا أن المؤرخ يكتشف أن «ميووش» يصدر المقال تلو المقال في المجلات والصحف البولندية المهمة ؛ ويشغل بمقالاته ودراساته

الرأي العام البولندي . ومن أهم هذه الدراسات والمقالات ، ما صدر له في مجلة «من غير داع» تحت عنوان «رسالة إلى المدافعين عن الثقافة» ، يشير فيها إلى أهمية «دور الثقافة ودور الشاعر» داخل المجتمع .

باقتراب عام 1939 - الذي حمل بدايات الحرب العالمية الثانية ، أصبحت هذه الحرب المدخل إلى تشكيل وجود الشعور بموتيفة «الكارثة» ، التي اصطبغت بها أشعار الجيل الذي تسمى باسم : «جيجاروف» ، وكان ينتمي إلى هذه الجماعة شاعرنا «ميووش» .. كان هذا «الطابع الكارثي» هو السمة الرئيسية ، بل المعنى الحقيقي لإبداعات هؤلاء المبدعين . وفي شهر سبتمبر من العام نفسه (1939) ، يتحرك «ميووش» نحو جبهة الحرب باعتباره مراسلًا للإذاعة البولندية . وعندما تخترق قوات الجيش الأحمر السوفييتية (الاتحاد السوفييتي سابقًا) برًّا حدود بولندا ؛ وتحتل أراضيها من الشرق ، بعد سبعة عشر يومًا فقط من اختراق الجيش النازي الهتلري الألماني لأراضي بولندا من الغرب ، يضطر شاعرنا إلى الهروب إلى رومانيا ، والبقاء فيها فترة من الزمن ؛ حيث لا يكون بمقدوره إلا الهرب إلى الغرب ، ثم يقرر العودة بعدها إلى بولندا.

في يناير 1940 يعود «ميووش» إلى موطن رأسه في شرق بولندا ، وهي «فيلنا» عاصمة «ليتوانيا» ، التي كانت ما تزال جزءًا لا يتجزأ من الأراضي البولندية ، قبل أن تحتلها قوات الجيش الأحمر السوفييتية ، فيضطر شاعرنا «ميووش» إلى الهروب المؤقت سرًّا إلى العاصمة «وارسو» ؛ حيث يشارك بقوة وفاعلية في إبداعات «الحركة الأدبية البولندية تحت الأرض» بالعاصمة البولندية المحتلة من قبل «هتلر» .

في عام 1942 - أي قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية بثلاثة أعوام - يعد «ميووش» ديوانه الشعري الجديد تحت عنوان «أناشيد الاستقلال» ، فضلًا

عن إعداده مختارات من أهم الأشعار الوطنية الشائعة ، التي كانت توزع آنذاك كمنشورات ؛ وتتلقفها أيادي القراء البولنديين . كانت هذه المختارات عاملًا مُهِمًّا في تعميق جذور حركة «التيار الأدبي تحت الأرض» ، فزمن الحرب كان مادة خصبة للكتابات الأدبية المستمرة ، ولم تتوقف أقلام مبدعيها من كتابها وشعرائها عن الكتابة آنذاك . لقد ساهمت هذه الكتابات - بلا ريب - في تنشيط الحركة الأدبية البولندية وإثرائها . جمع «ميووش» هذه الإبداعات لتصدر في ديوان كامل ، يُسَجِّل هذه المرحلة ويوثِّقها على المستوى الزمني والتاريخي ، ويعود تاريخ إصدار هذا الديوان إلى ما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تحت عنوان «الإنقاذ» . لم يكن ديوان «الإنقاذ» مجرد قالب غير عادي ، أو مثير لدهشة قارئيه ، بل على النقيض من ذلك كان مصدرًا لهجوم عديد من النقاد والقراء .

بعد استسلام الألمان في عام 1945 ، يختار «ميووش» العاصمة القديمة «كراكوف» ليحيا فيها ؛ وتعد العاصمة الثقافية في بولندا حتى اليوم .. تلك المدينة التي أنقذت من دمار الحرب وخرابه ، على النقيض من العاصمة الجديدة «وارسو» ، التي تكاد أن تكون قد اختفت من على خريطة بولندا ، فضلا عن تدمير المدن والأراضي البولندية الأخرى . وفي «كراكوف» - العاصمة البولندية القديمة - يصبح «ميووش» شاهد عيان على المتغيرات التاريخية والاجتماعية والثقافية ، التي تحدث في بلاده بولندا ، والمتسمة بطابعها «التدميري» كما ذكرنا من قبل . يطلق شاعرنا «ميووش» على هذه المرحلة «نهاية أوروبا» ، ويكتب قصائده ومقالاته معبرًا عن تلك المرحلة «الكارثية» التي حلت على البولنديين في كتابه الشهير «الفكر الذي لم يتحرر بعد» ، وفيما بعد ينتهي من كتابة روايته التالية «الحصول على السلطة» .

في ذلك الوقت ، يصبح «ميووش» واحدًا من أهَمِّ محرري المجلة الأدبية المهمة «إبداع» ، وكانت تصدر شهريا . يُصدر «ميووش» كتابه «دفاع عن الوطن» في طبعة ثانية ، يتضمن بين صفحاته ديوانًا شعريًا كاملًا ، فيه «مختارات من قصائد شعرية» لشعراء بولنديين ، يَعود إبداعهم إلى زمن ما قبل الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945) ، وفي أثناء الاحتلالين (الألماني والسوفيتي) . يعد هذا الديوان من أهم المصادر الكاشفة عن الحركة الشعرية في الثقافة والأدب البولنديين المعاصرين ، ويعود تاريخه إلى النصف الثاني من القرن الماضي . اهتمت حركة النقد الشعري - إذًا - في بولندا وخارجها بهذه المختارات الشعرية ، التي قام بإعدادها شاعرنا «ميووش» وقدم لها باعتبارها وثيقة شعرية أدبية ، تسجل حالة ضياع جيله ومقاومته ؛ وتاريخ عذابات سنوات عمره . كانت إحدى قصائد هذا الديوان بعنوان «العالم» ؛ وهو ديوان يجمع ما بين دفتيه مجموعة قصائد شعرية ؛ جذبت اهتمام معظم النقاد والمحللين ، الذين قاموا بتحليلها والتعليق عليها . نكتشف في هذا الديوان بساطة كلمات القصائد وعمقها في الوقت نفسه ، ونستشعر شعرية كلمات مبدعيها المتسمة بالتوهج والدفء . وتصبح هذه «المختارات الشعرية» مادة غاية في الأهمية ؛ للتعبير عن أدب هذه المرحلة كما ذكرنا . إنها تعبر عن أصحابها بكثير من الصدق ، وترسم ملامح صورهم بشكل يصور خصوصية هذه المرحلة ، فهي تزخر بشعور بطولة الإنسان البولندي ، وألمه ، وجرحه الغائر ، ولهيب النيران المصوبة إلى قلوب البولنديين وأجسادهم الدامية . وتزخر هذه النصوص الشعرية بدماء البولنديين ومعاناتهم لما حدث لهم في أثناء الحرب الضروس وما بعدها .. يتشكل كل هذا في لوحة ، تتضمن ذكريات طفولة شاعرنا ، وتمتزج بثراء بعده الإنساني الساحر .

في السنوات (1945 - 1951) عمل «ميووش» موظفًا بوزارة الشؤون الخارجية في بولندا ، ثم ملحقًا ثقافيًا في السفارة البولندية بنيويورك ، وبعد انتقاله للعمل بالسلك الدبلوماسي في باريس ، يعلن «ميووش» في عام 1948 رسميًا عن ميثاق ، أطلق عليه في أحد دواوينه «معاهدة أخلاقية» ، وهي معاهدة أخلاقية سياسية بالدرجة الأولى . والمثير للدهشة أنه على الرغم من أن هذا الكتاب وتفاصيل معاهدته تدين النظام الشيوعي - التي كانت تمثل منظومة معسكر الاتحاد السوفييتي آنذاك ؛ والبلدان التابعة له من شرق أوروبا؛ ومن بينها «بولندا» - إلا أن كاتبنا يفلت من أعين رقابة السلطة في بولندا الشيوعية ، مع أنه ينقد بشدة تلك الظواهر السلبية المرتبطة بالمتغيرات الثقافية والاجتماعية والسياسية لهذه المرحلة ، وفيها يتحدث شاعرنا «ميووش» عن المسئولية الأخلاقية للإنسان تجاه التاريخ .

في أثناء وجود الشاعر في وطنه ، ينعزل عن الأوساط الأدبية المرتبطة بـ «اتحاد الأدباء البولنديين» التابع للدولة . وتصادر الدولة جواز سفره وتبقى «يانينا» - زوجته في ذلك الوقت بأمريكا . إلا أن شاعرنا «ميووش» ينجح في الاستحواذ على رضا السلطة وثقتها ، بعد أن ضمنه رجل من رجال السلطة المقربين له؛ فيُسْمَحُ له بالسفر إلى الخارج للعمل في السفارة البولندية بباريس. وبدلًا من شغله وظيفته في السفارة ، يختار قدرا آخر ؛ هو القدر السياسي في المهجر ، وعند وصوله إلى هدفه ؛ يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتعاون مع «المعهد الأدبي البولندي» في باريس ، الذي كان يمثل حركة المعارضة للمثقفين والأدباء البولنديين ضد السلطة الشمولية (الشيوعية) في بولندا .

يبقى شاعرنا في فرنسا حتى عام 1960 .. وفي الوقت نفسه تنشر له دار «الثقافة» كتبًا متتالية ؛ بداية من كتابه «الفكر الذي لم يتحرر بعد» ، وهو

مجموعة مقالات صحفية ، تمهد لـ «ميووش» الطريق عبر سنوات طويلة ، لقراءة كتبه في أمريكا وأوروبا . فهذا الكتاب بسرده الأدبي وعرضه لقضايا ثقافية وأدبية وفكرية مهمة ، يجذب القراء لقراءته . وتزداد شهرة «ميووش» باعتباره شاعرًا مع توالي إصدار دواوينه الشعرية باللغة البولندية والإنجليزية، ويُنظر إليه باعتباره واحدًا من الرَّعيل الأول من الشعراء من جيله - حسب تصنيف بعض النقاد له - على النقيض من توقعات البعض الآخر . ويعد كتاب «الفكر الذي لم يتحرر بعد» ، تحليلًا متعمقًا للمتغيرات التاريخية بأوروبا في فترة مبكرة ، حيث يقوم «ميووش» بتحليل موقف أولئك، الذين أوجدوا الثقافة داخل منظومة الأيديولوجية وتقييمه ، فقرئ هذا الكتاب باعتباره هجومًا على النظامين الاشتراكي والشيوعي.

في عام 1953 صدر لشاعرنا ديوان شعري تحت عنوان «ضوء النهار» ، ورواية «الاستحواذ على السلطة» ، التي تضمنت موضوعات طرحت سابقًا في كتابه «الفكر الذي لم يتحرر بعد» في قالب روائي .. في عام 1955 تصدر له روايتان : «دلتا إيسي» ، وديوان «معاهدة أخلاقية» يحصل بسببهما على جائزة الأدب من دار نشر «ثقافة» . وفي الفترة التي تقل فيها حدة الديكتاتورية الشيوعية في بلاده ، تصدر لشاعرنا في الصحافة البولندية عام 1957 «قصائد شعرية» جديدة وتلقى إبداعاته صدىً ونجاحا عند القراء ، فضلًا عن تعليقات النقاد الإيجابية والمثقفين والعلماء البولنديين . بعدها بسنوات تصبح نصوص شاعرنا «ميووش» وكلماته متاحة لقرائها بشكل غير معلن ، وتنضم للكتب ووسائل النشر التي تصدر بشكل غير رسمي من تحت الأرض فقط ، أو ما يطلق عليه «الكتب الصفراء» ، وهي تمثل مقاومة المثقفين والأدباء البولنديين ضد السلطة الشمولية .

في عام 1958 تصدر لـ «ميووش» روايتان : «عائلة أوروبا» وكذلك «القارات» ، ويحصل شاعرنا بسببهما على جائزة اتحاد الكتاب البولنديين في المهجر .

في عام 1960 يتلقى «تشيسواف ميووش» دعوة من كل من جامعتي «كاليفورنيا» و«إنديانا» لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية . يعرضان عليه العمل أستاذًا في كلية علوم اللغات وآدابها – قسم الآداب السلافية بجامعة كاليفورنيا في (بيركلي) ، ويبقى شاعرنا «ميووش» في أمريكا بموافقته ورغبته في البقاء ، وربما تكون موافقته على البقاء سببًا غير مباشر في استقرار حياته . منحه العمل في الجامعة الطريق للدعاية للأدب البولندي ؛ وخاصة الشعر ، وتصدر له على التوالي الكتب التالية : ديوان «ملك الرماد وقصائد أخرى» 1962 ، وفي العام نفسه : «الإنسان من بين العقارب» و «جوتشو المسحور» ، وفي عام 1965 يصدر له كتاب بالغ الأهمية في الأدب البولندي ، تحت عنوان «الشعر البولندي فيما بعد الحرب» ، وهو عبارة عن مختارات من الشعر البولندي في فترة ما بعد الحرب (أي ما بعد عام 1945) ، وهو اختيار وتصدير وترجمة إلى اللغة الإنجليزية بقلم الشاعر نفسه . وبهذا المنهج يكون بمقدور «ميووش» أن يشيد طريقًا للتعريف بالشعراء البولنديين ، ومن أهمهم الشاعر «زبيجنييف هربرت» والشاعرة «ستانيسوافا شيمبورسكا» ، التي حازت بعد «ميووش» جائزة نوبل . ومن أهم المراجع العلمية كتابه «تاريخ الأدب البولندي» ، الذي قدم فيه شاعرنا «ميووش» مرجعًا علميًّا ، يتسم بسهولة الطرح ، يستعرض فيه المؤلف ، ويحلل جذور الظاهرة الأدبية البولندية وتقاليدها العريقة وحداثتها المعاصرة . ويعد هذا الكتاب حتى اليوم من أهم المراجع في الأدب البولندي ، باعتباره مدخلًا مهمًّا للتعريف به ، فضلًا عن

ذلك تشارك بالكتابة فيه أقلام جيل جديد من العلماء والمؤرخين والـمُعَرِّفين للأدب والثقافة البولنديين .

في عام 1969 يصدر ديوان جديد لشاعرنا تحت عنوان «مدينة بـلا اسـم» ، ويصدر كذلك كتاب يحوي مقالات ودراسات تحت عنوان «رؤية خليج سان فرانسيسكو» . وفي عام 1972 تصدر له مجموعة مقـالات ودراسـات جديـدة تحت عنوان «التزامات خاصة» .

ولعام 1973 أهميته الخاصة في إبداعات «ميـووش» وانتـشارها في العـالم ؛ فقد اشتهر «ميووش» حتى هذا التاريخ باعتبـاره كاتـب مقـالات ودراسـات أدبية ، وكان الأمر الأسوأ له - من وجهة نظره - اعتباره كاتبًـا سياسـيًّا ، كـما صنفه النقاد المعاصرون ، خاصة عن كتابه «الفكر الذي لم يتحرر بعد» ، وقـد ارتبطت طريقة كتابة «ميووش» لدى القراء بانطباع أكد لهم أنه كاتب سياسي. أما نجاحه العالمي ، فلم يرتبط جماهيريًّا بكونـه «شـاعرًا» ، ولم يـر فيـه القـراء شاعرًا ، بل رأوا كاتبًا ومعلقًـا ومحلِّـلا ، عـلى الـرغم مـن أن مكانتـه الأدبيـة الحقيقية ترتبط بإبداعاته الشعرية . وعلى النقيض من ذلك عندما كان في بلاده بولندا ، عرفه البولنديون باعتباره شاعرًا مؤلفًا لعدد من دواوين الشعر ، مـن قبيل «الشتاءات الثلاثة» و «دفاع عن الوطن» و «معاهدة أخلاقية» .

في عام 1973 تصدر لـ «ميووش» «مختارات من أشـعاره» المكتوبـة باللغـة الإنجليزية تحت عنوان «مختارات من الـشعر» . يـصبح الطريـق - منـذ هـذه اللحظة - مُمَهَّدًا للقراء في أنحاء متفرقة مـن العـالم ، للتعريـف بــ«ميـووش» باعتبـاره شـاعرًا . وتـصدر للـشاعر عـلى التـوالي دواويـن شـعرية باللغـة الإنجليزية: «أشعار - Poems» في عام 1977 ، وكذلك «أجراس في الشتاء - Bells in winter» في عام 1978 .

يلقى شاعرنا «تشيسواف ميووش» تقديرًا متزايدًا في العالم ، ويصدر للشاعر عام 1974 ديوانه الشعري المهم «أينما تشرق الشمس وتغرب» ، وفي العام نفسه يحصل الشاعر على الجائزة الأدبية البولندية من أحد النوادي الأدبية ، عن ترجمته للشعر البولندي من اللغة البولندية إلى اللغة الإنجليزية ، ويحصل على جائزة «جوجينهايم - Guggenheim» العالمية عام 1976 ، وجائزة «دكتور هونوريس كاوزا» من جامعة «ميتشجان» في «آن أربور - Ann Arbor» في عام 1977 ، وجائزة الأدب الدولية باسم «نيوشتاد» ، وكذلك جائزة «بيركلي سيتيشان» وهي أعلى جائزة تمنحها جامعة كاليفورنيا . ويصدر للشاعر الصحفي في الوقت نفسه كتاب في عام 1977 ، هو عبارة عن حوارات للناقد البولندي «ألكسندر فات» مع الشاعر ، والكتاب تحت عنوان «شتاء أورلو وعمري» عام 1977 . ثم يصدر للشاعر الديوان الشعري التالي «أشعار» عام 1977 ، وكذلك «أجراس في الشتاء» عام 1978 .

ثم يصدر لـ«ميووش» في عام 1979 «كتاب المزامير» ؛ ليبدأ شاعرنا عمله الكبير ، الذي لا ينتهي وهو ترجمته للإنجيل إلى اللغة البولندية . ويصدر له «كتاب هيوب» عام 1980 ، وكتاب«الخمس ميجيلوت» عام 1982 ، و«الكتاب المقدس عبر القديس مارك وأبوكاليبس» عام 1984 .

وأخيرًا يأتي الزمن الذي يعد زمنًا حاسمًا بالنسبة لـ«ميووش» ؛ والذي يواجه فيه شهرة وشعبية كبيرتين ، بداية من التعريف به ، مرورًا بقراءته في لغته الأصلية «اللغة البولندية» ، ووصولًا إلى حركة النقد المعاصرة في بولندا . وهنا علينا أن نتذكر أن حركة النقد البولندية كانت قد صمتت عن عمد عن التعريف بـ«ميووش» ، وكل ما قامت به هو ذكرها لمكانته بشكل متواضع ، فكان القراء البولنديون محكوما عليهم في بلادهم بالجهل به .

في عام 1980 أثمرت جهود «ميووش» الأدبية عن حصوله على جائزة «نوبل» في الأدب .. لقد رشحه أعضاء الأكاديمية السويدية لهذه الجائزة الكبرى عن إبداعاته ككل . قالوا عنه : «إن التاريخ الذي كتب «ميووش» عنه المرة تلو المرة ؛ والذي لم يستطع ذهنه الانصراف عن نصوصه ، قد ربط كل إبداعاته - بطريقة تدعو للتأمل والتحليل - بالوضع الراهن في بولندا ، ذلك البلد الذي هجره ، ولكنه اختار أن يكتب بلغته » .

إن ازدهار حركة «التضامن» الشعبية فضلًا عن «حالة الطوارئ» التي عمّت البلاد ، كانت سببًا في جعل «ميووش» عبر كتاباته ؛ كاتبًا استغل اسمه في كواليس النقاش السياسي . وسواء أراد أو لم يرد ، فإنه كان على «ميووش» أن يقترب في وجوده من دور الشاعر القومي لبلاده . من هنا يقف «ميووش» بجوار الزعيم العمالي «ليخ فاوتسا» و«بابا الفاتيكان البولندي الأصل» «چان پول الثاني» على الدرجة التاريخية نفسها ، التي ساعدت في قلب نظام المعسكر الاشتراكي في بولندا ، فانتشرت حركة التضامن كالنار في الهشيم في بلدان أوروبا الشرقية ، وفي الاتحاد السوڤييتي نفسه - معقل الأيديولوجية الشيوعية. ارتبط «ميووش» بتلك الشخصيات بوشائج متينة ، ساعدت في أن تكون سببًا جوهريًا مباشرًا - وغير مباشر - في كل المتغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية التي حدثت في بولندا ، وبلدان أوروبا الشرقية ، ومن بينها بلدان «الاتحاد السوڤييتي» ، التي تفككت فيما بعد إلى دول ودويلات في بدايات التسعينيات من القرن الماضي .

مهدت الجائزة لشاعرنا الكبير «ميووش» الطريق للوصول إلى القارئ البولندي ، وكان ديوان الشاعر «أينما تشرق الشمس وتغرب» من أهم الدواوين الشعرية ، التي أصدرتها دار النشر البولندية «PIW» تحت عنوان

«**أعمال مختارة**» للشاعر «ميووش» . وأغلق هذا الاعتراف الدولي الكبير أفـواه الرقابة المتسلطة . مـن هـذه اللحظـة تـصدر كالإعـصار مختلـف الدراسـات والتحليلات النقديـة حـول إبـداعات «ميـووش» ، وتـصدر أيـضًا رواياتـه ودواوينه تباعًا .

في عام 1981 ، يعود شاعرنا «ميووش» إلى وطنه بولندا ، في اللحظـة التـي يكون فيها البولنديون على يقين بأنهم «**شاهدو عيان**» على تغير تاريخي يحـدث في بلادهـم . وفي منـاخ يتـسم بخـصوصية زمنـه ، يـصبح وصـول الـشاعر البولندي إلى بولندا من الخارج شيئًا ، أقرب ما يكون إلى تحقيق نـصر قـومي . إذ فور وصوله إلى بولندا ، يحصل «ميووش» على جائزة «**الدكتوراه الـشرفية**» من جامعة «لوبلين» الكاثوليكية في بلاده . ورغـم ذلـك يعـود إلى الولايـات المتحدة الأمريكية .. يعود إلى بيتـه المحـوط بحديقـة تحـت سـفح «بـيركلي» . وتفتح السنوات التالية الأبواب على مصراعيها لإصدار كتـب «ميـووش» في مختلف لغات العالم ، ومن بينها الآن اللغة العربية .. فضلًا عن صـدور كتـب جديدة لشاعرنا : «**مديح حول لؤلؤة**» ، وقد صدر هذا الكتاب في عـام 1982 بباريس، وفي الوقت نفسه تـصدر لـه في بولنـدا الـدواوين الـشعرية : «**أرض استثنائية**» (1984) ، و«**البدايـة مـن شـوارعي**» (1985) ، فـضلًا عـن كتـاب «سيرة حياة» عن الشاعر «ميووش» عام 1988 ، وبعـد عديـد مـن الـسنوات تطبع له دار النشر «العلامة – Znak» كتابه المهم «ميتافيزيقية اللحظة» .

وفي عام 1986 تموت «يانينا» زوجة الشاعر الأولى .

وفي عـام 1989 يعـود «ميـووش» إلى موطنـه بولنـدا مـن جديـد في أتـون أحداث تاريخية عاصفة وتغيرات كبرى تحدث في بولندا . ويحصل «ميووش»

على جائزة الدكتوراه الشرفية - من أقدم جامعات أوروبا : جامعة «ياجيلونسكي» بمدينة كراكوف البولندية .

ومنذ هذه اللحظة ، يسافر شاعرنا إلى بولندا أكثر فأكثر ، لتصبح «كراكوف» - وهي من أقدم المدن البولندية - بيت الشاعر أو محطته التالية .. هذه المدينة التي تتقاسم قلب الشاعر مع «بيركلي» في أمريكا . وفي العام ذاته يحصل «ميووش» على جائزة أخرى هي «الدكتوراه الشرفية» من جامعة «هاوارد» الأمريكية .

يعود الكاتب في كل ما يكتبه إلى ذكرياته التي تصبح دومًا مصدرًا ومرجعًا له .. إن «ميووش» دائمًا ما يقوم بتقديم كشف حساب في كتاباته لتلك القيم القومية ، والحقائق التاريخية بعلاقتها بالثقافة والمجتمع ، والمكان الجغرافي خاصّة بكل من «ليتوانيا» البولندية و«بياويروش» و«أوكرانيا» الروسيتين ؛ وعلاقة هذه البلدان الصغيرة ببولندا .. إنه يعرض تلك القضايا والمشكلات عبر منظور متفرد ، ينظر فيه للأجيال التي نشأت ونمت وتعلمت تحت مظلّة النظام الشيوعي .

وتكون عودته إلى «ليتوانيا» - موطنه الأصلي - في عام 1992 - بعد اثنين وخمسين عاما من هجرته منها ؛ حدثًا كبيرًا في حياة شاعرنا «ميووش» . يحصل على «الجائزة الشرفية» من جامعة «فيتولد فييلكي» بمدينة «كوفو» الليتوانية (يحصل على الجائزة نفسها في العام نفسه من كل من جامعتي «بولونيا» و«روما» الإيطاليتين) . ومنذ هذا التاريخ يعاود زيارة «ليتوانيا» - موطنه الأصلي - بشكل متواصل مستمر ، ويصبح ظهور كتابه «البحث عن الوطن» وانتشاره في «ليتوانيا» - عندما يقوم بنفسه بتوقيعه وإهدائه لقرائه هناك - نجاحًا كبيرًا للشاعر ؛ مما يؤكد دور «ليتوانيا» في تشكيل ذاكرة

إبداعات «ميووش» الشعرية ، ويقوم رئيس الدولة الليتواني «ألجيرداس برازاووكاس» بمنحه وسام الأمير الكبير «جايدمين» .

في عام 1993 تصدر له دار النشر «العلامة – Znak» البولندية ثلاثة دواوين شعرية . وفي العام نفسه يُمنح من مدينة «كراكوف» لقب «المواطن الشرفي» للمدينة ؛ تكريمًا لجهوده . وتتحول هذه المواطنة الشرفية إلى مواطنة حقيقية ؛ ومشاركة في الأحداث اليومية للواقع الأدبي البولندي المعاصر.

وتعد السنوات العشرة الأخيرة من حياة شاعرنا الكبير «ميووش» فترة زمنية خصبة من العمل الإبداعي ، ذلك أن كل كتاب لـ«تشيسواف ميووش» هو حدث ثقافي كبير ونجاح أكبر لأسواق النشر البولندية.

والبرهان على ذلك الانتشار الأدبي الواسع هو حصوله على الجائزة الأدبية في الأدب «NIKE» في عام 1988 عن كتابه «الكلب المرتحل» . وقد حقق نجاحًا كبيرًا في أخر دواوينه الشعرية ؛ وهي على التوالي : «هذا» 2000 ، و«الفضاء الثاني» 2002 ، و«أورفيوس وإيريدكا» 2002 ، فضلًا عن «مخزن أدبي» 2004 ، و«الترحال في الزمن» 2004 .

وفي 14 من أغسطس عام 2004 يرحل شاعرنا الكبير «تشيسواف ميووش» عن عالمنا .

دوروتا متولي

وهناء عبد الفتاح

ثلاثة شتاءات

(1936)

أغنيـــة

(مهداة إلى «جابرييلا كونات»)

هي

الأرض تُبحر من الساحل، الذي أقف عليه
ورويدا رويدا تضيء أعشابها المبتعدة
والأشجار والبراعم والكستـناء،
والضوء النابع من أشجار البتولا.
لن يكون بمقدوري رؤيتكم
فأنتم تبتعدون عن أناس متعبيـن
وتسرعون وتعدون نحو الليل
مع الشمس التي تتموج كالراية
ولأنني أخاف البقاء وحيدًا
حيث لا أملك شيئا سوى جسدي
حيث تلتمع في الظلمة، نجمة من يدين
متقاطعتين،
فإنني أنظر بفزع إلى نفسي
أيتها الأرض : لا تتركيني!

الجوقة

من الأنهار خرجت الثلوج منذ زمن بعيد، نبتت الأوراق بشكل كثيف،
جاءت المحاريث لتحرث الحقول، حيث يسمع في الغابات هديل الحمام،
وعبر الجبال تمرق الغزالة، تشدو بغناءٍ مرح،
الزهور العالية تـنمو، تـتبخر الحدائق الدافئة.
الأطفال يرمون بالكرة، يرقصون فوق المرج ، كل ثلاثة منهم يتراقصون.
النساء يغسلن الملابس في النبع ويصطدن القمر.
والسعادة كلها إنما تأتي من الأرض، فلا تملك دون الأرض سعادة،
فالإنسان ينتسب إلى الأرض، فليشته هذه الأرض.

هي

لا أريدكِ إن توسوسي لي. فلتستمري في إبحاركِ، أيتها الأخت الهادئة،
ما زلت أشعر بلمستك، إن لمستكِ تحرق عنقي.
فالليالي الغرامية معكِ، مُـرّة كرماد السحب،
والفجر يأتي بعد هذه الليالي شديد الحمرة، وفوق الأنهار
تظهر طيور النورس الأولى، وحزن كبير يدعوك إلى البكاء
لم يعد بمقدوري البكاء، ولكن مجرّد الاستلقاء
أحصي ساعات الصباح المبكر، أتسمع الحفيف البارد
من أشجار الحوْر المرتفعة الميتة ، فلتكن لي محبًا يا إلهي.
عن أفواه الأرض الشرهة افصلني.
ومن أغانيها الـمُزَيَّفةِ طهرني.

الجوقة

تلتف حول نفسها المحالج، تـتخبط الأسماك في الشباك،
رائحتهم رائحة الخبز الطازج، يتسارع التفاح فوق الموائد،
تهبط الأمسيات فوق الدرج، والدرج من الجسد الحي،
كل هذا مستـقطع من الأرض، حيث يتحرك الإخوة النحاسيون،
حيث تتمايل أعناق الحيوانات، وتتساقط الفراشات في البحار،
وتسافر السلال عند الغروب، ويسكن بزوغ الفجر في أشجار التفاح،
كل شيء مستقطع من الأرض، وهو إليها يعود.

هي

أوّاهُ، لو أنه كان بداخلي مجرد بذرة دون صدأ،
بذرة واحدة قابلة للاستمرار،
لكان بإمكاني أن أنام في سرير طفولي يميل
نحو الغروب تارة والشروق تارة أخرى.
لكنت انتظرت هادئة، حتّى تـنطفئ الحركة ببطء،
وما هو واقع فجأة يخلع رداءه
والوجه الجديد الأسطواني المجهول
ينظر إلى زهرة الحقل، صخْرة الحقل.
عندئذ فإنهم، أولئك الذين يحيون في الكذب،
مثل الطحالب في قاع مياه الخليج،
كان يمكن أن يكونوا مثـل إبر الغابات
لذلك، يُـنْظر في الغابة من أعلى، عبر السحب.

ولكن ليس في داخلي شيء سوى الرعب،
ليس غير الأمواج السائرة المظلمة.
إنني الرياح، التي تـنفخ في قاع المياه المظلمة،
إنني الرياح السائرة الذاهبة بلا عودة،
بلقاح «الـنَّبِ» الموجود فوق أعشاب العالم.

الأصوات الأخيرة

في كيرالحدادة عند ضفاف المياه تدق المطرقة،
والرجل المنحنى يُصْلح المنجل
ويلتهب وجهه.

وتـنـير الوجهَ الشعلةُ الأولى داخل الدار،
وفوق المائدة يُلْقي الفلاحون الأجراء برؤوسهم من الإرهاق
فالآنية الكبرى يخرج منها البخار، والعصافير تغني.

أما الجزيرة فهي حيوانات نائمة،
وفي أعشاش النهر تستعد للنوم وتزوم،
ومن فوقها سحابة ضيقة نحيلة.

فيلنا 1934

ترتيلـة

لا يوجد أحد بيني وبينك.
لا الزرع الممتص عصيره من عمق الأرض،
ولا الحيوانات، ولا الإنسان،
ولا الرياح العابرة من بين السحب.

إن أجمل الأجساد مثل الزجاج الشفاف.
وأقوى الشعلات مثل الماء، الذي يمسح الأقدام المتعبة بعد السفر.
والأكثر اخضرارا مثل الرصاص المشع في قلب الليل.
الحب هو الرمال الملتهمة من قبل الشفاه الجافة.
الكراهية التي يمتلئ بها الإبريق المملح والممنوح للمتعطش.
والعجلات المنغرسة في الأنهار. فلترفعوا أياديكم!
أنا الوفي ابن الأرض السوداء، سأعود إلى الأرض السوداء،
كما لو كانت الحياة غير موجودة،
كما لو كانت الأغاني والكلمات قد أبدعت
ليس قلبي، ليس دمي،
ولا حبي للبقاء،
ولكنه صوت المجهول، بلا شخص معلوم،

اهتزازات الأمواج بمفردها،
رياح الجوقة بمفردها،
وأراجيح الأشجار العالية
الخريفية.
لا يوجد أحد بيني وبينك،
أما أنا فقد وُهِبْت قوة.
الجبال البيضاء ترعى فوق الأراضي المنبسطة،
تذهب للبحار، إلى مياهها التي يحتسونها،
تميل أكثر فأكثر شموس جديدة
نحو الوادي الصغير من النهر الأسمر، حيث ولدت.
لا أملك الحكمة، ولا القدرة، ولا الإيمان،
ولكني قد حصلت على القوة، إنها تخترق العالم.
فأنا كالموجة الثقيلة أخترق حوافه
وأرتحل، وأعود إلى مناطق مياه الأبدية،
والموجة الشابة تتغطى بصمتي. يا أيتها الظلمة،
المصطبغة بشعاع الفجر الأول،
كالرئة المقتطعة من حيوان ممزق
تتأرجحين، وتغطسين.

كم مرة مارست السباحة معك
وقد استوقفت نفسي في قلب الليل،
مصغيا إلى صوت يسري من بين جنبات كنيستك المرتعبة

صراخ طيور «الطيهوج»، وتذمُّـر «النَّـبِ» فيك قد اتسع
وقد أشرقت تفاحتان راقدتان فوق المائدة
أو بريق مقصات كبيرة مفتوحة -
- وكنا مثـلها:
التفاحات، المقصات، الظلمة وأنا –
وتحت الشيء نفسه، غير المتحرك،
الآشوري، المصري، والروماني
القمر.

تتوالى فصول الربيع، الرجال والنساء تتواصل،
يتجول الأطفال بأياديهم نحو الحائط وهم شبه نائمين،
يرسمون الجزر الداكنة بأصابعهم المبللة بلعابهم،
تتوالى الأشكال، ويتساقط ذلك الذي ظُنَّ أنه لا يقهر.

ولكن ما بين الدول التي تقوم من قاع البحار،
ما بين الشوارع المنطفئة، محل تلك
التي ترتفع عاليا من تساقط الكوكب الـمُشيَّد،
من كل شيء، قد مضى،
من كل شيء، قد مضى،
فالشباب يدافع عن نفسه، دفاعا طاهرا كالغبار الشمسي،
لا في الخير، ولا في الشر ، محايدة أنت،
تحت ضخامتك الأقدام مفروشة،

ليمكنك سحقها،
والجلوس فوقها،
ليمكنك التحرك بأنفاسك من حولها،
ومن حركته يرتعش البناء الضئيل،
حتى يمكنك ، بسبب جوعها، وجـوع الآخـرين ، أن تمنحـي الملـح، والنبيـذ
والخبز.

لم يخرج صوت القرن بعد
المنادي على المنتشرين المتفرقين، الراقدين في الأودية.
بالقرب من العربة الأخيرة ، لم يَطِنّ بعد عند مكعبات الأرض
بيني وبينك لا يوجد أحد!

باريس 1935

النهر المتباطئ

لم يكن هناك ربيع رائع كهذا، منذ أمد بعيد
إنه متواصل، حتّى ما قبل قطع الحشائش
كثيف ، وقطرات الندى في كل مكان. وفي الليل عزف
يُسْمع من حافة المستنقعات، والركام الرملي الوردي
يرقد عند المشرق حتّى ساعة الصباح.
في وقت كهذا فإن كل صوت سيبدو لنا
صراخ انتصار.. حمدا، ألما وحمدا
للحشائش والسحب، ولأشجار السنديان الخضراء،
بوابة الأرض المتكسرة، مفتاح الأرض المنكشف،
النجوم بدأت في تحية اليوم. إذًا لماذا
تنغلق عيناك وفيها بريق غير صاف
مثل عيون المخلوقات، التي لم تتعرف
على الشر وتتشوق فقط للجريمة؟ لماذا
عبر الجفون المتجمدة تضيء عميقا تلك
الكراهية الساخنة؟ ففيك سيطرة،
فيك الغيوم تبدو خواتم مذهبة
تعزف، وعلى الطريق تهمس أشجار «النَّبـ» بشهرتك،
من كل وجود حي تعدو

إلى أكفك لُـجُمٌ غير مرئية –
مهددا – وكل شيء حي يتجه نحو يدك – ينتزع، وهم جميعا
استداروا في منتصف الدائرة تحت السماء
حيث يستدعون السحب الرقيقة يستظلون بظلها.
وواجباتك؟ أهٍ، ينتظرك الجبل الخشبي، فوقه ملامح
الأبنية الكبرى، ذلك الوادي، حيث القمح
ينبغي أن يرتفع عاليا، حيث المائدة والبطاقة البيضاء،
التي ربما تتشكل القصيدة فيها،
البهجة والشقاء. والطريق يلوذ بالفرار
تحت الأقدام سريعًا، والبصمة البيضاء تـنجذب،
للدرجة التي يصعب فيها النظر إلى من يقوم بالتحية،
حيث يضعف التشبث بقبضة اليد،
تنفّس الصعداء،
لقد انتهت العاصفة.
عندئذ يحملون الشرور عبر الحقول،
حيث يتأرجح رأسه الرمادي، وعبر شاطيء البحر
حيث تأتي الرياح من عواء ثنيّات الرايات
وأطفال المدارس يهرولون فوق الحصى،
مرددين أغنياتهم.

- «كي تصهل الأعياد في الحدائق فوق الحشائش وهم يشربون،
كي لا يُرى، متى يكونون متعبين، ومتى يكونون سعداء،

قبضوا على الخبز من أيادي زوجاتهم الحوامل.
وأمام أية علامة من الرأس لم يَنْثَنِ
إخوتي، كانوا متعطشين للحب الـمُحقِّق لِلَّذة، مرحين،
ومن العالم لديهم عربة دافعة، لمنزل سعيد.

«آه، السمنة الرمادية ، ومن ورائهم تتساقط فوق الاخضرار،
مع أن الأفران تبدو وكأن لها صخورا بيضاء
والدخان يخرج من عش النحل.
وغمغمة «آلة الماندولين» على طريق الجماهير الغفيرة،
فوق قطع الأرض أكلت، وعند الطحالب قد ترمدت
حيث حصاد الشرق الجديد، والسحب الرملية الدائرة»

ربيع رائع كهذا، مثل ذلك الذي كان منذ أمد بعيد
لم يكن له عالم مرتحل. فالدم زهرة للسموم
وفضاءات المياه تبدو بالنسبة إليه مسافات بعيدة،
وأسطول الملاحين، الذي كان يسير من بين الضباب،
كآخر هزة للحن موسيقي صاف.
رأى من فوق الرمال شخصيات متناثرة
تحت إضاءة الكوكب تتطاير من سقفه
وعندما اختفت الموجة، كان الصمت متسيدا،
وقد خرجت من السكير رائحة اليود؟ أحجار الدماء؟
فوق تلال «ماريا»، غنوا، ماريا،

اليد الملوثة بالدماء موضوعة فوق السُّرُج،
لم يُعرف، هل كان هذا شعارًا جديدًا
وذاك الذي سوف يُـنْـقذ ، على الرغم من أنه اليوم يقتل.
وعبر المرات الثلاث ينبغي أن ترتد بالقرب
من التعصب البشري الأعمى، قبل أن أقوم أنا بنفسي بلا تردد
أنظر إلى السلطة، التي تستلقي نوما في يدي،
في الربيع والسماء والبحر، والأرض.
فعليهم أن ينتصروا عبر مرات ثلاث على الكذب،
قبل أن تـنْـفَـد الحقيقة الكبرى،
ويقف في البريق – مجرد لحظة واحدة –
الربيع والسماء، والبحار، والأرض.

فيلنا 1936

من ديوان الإنقاذ

(1945)

لـقـاء

سرنا قبيل الفجر، عبر الحقول التي تجمدت من البرودة.
الجناح الأحمر قد نهض، وما يزال الليل قائمًا.

مرق الأرنب فجأة أمامنا،
أشار واحد منا إليه بيده.

كان هذا منذ زمن بعيد. ولم يعودوا اليوم من الأحياء:
لا الأرنب، ولا ذلك الذي أشار إليه.

يا حبي، أين هم، إلى أين يتجهون
بريق اليد، مسارُ العدْو، خشخشة الحصى -
أنا لا أتساءل متأسّيا، بل أتعجب.

فيلنا 1936

أغنية لـ «ليڤالوا – Levallois»

ثكنات العاطلين في «ليڤالوا -پيريه - Levallois»، 1935

إلهي، كن رحيما بـ «ليڤالوا »،
انظر إليها من بين دخان أشجار الكستـناء المسممة،
حتى ترعاها كّفاك القويتان

طوال اليوم بأكمله سرقوا، لعنوا،
والآن فوق الأسِرَّةِ العسكرية يلعقون جروحهم،
وعندما يأتي المساء في باريس،
فإنهم ينكشفون بوجوههم في أكف المجرمين:
يا إلهي ، كن رحيما بـ «ليڤالوا »،

إنهم طبقا لإرادتك خرجوا،
جمعوا القمح، واستخرجوا الفحمَ من الأرض.
وتجرَّعوا دماءهم الأخوية مرّة بعد مرة
وهم يدمدمون باسم عيسى ومريم.

تدفّقَ هذيانهم المخبول من الحانات،
وهذه أغنيتهم التي كانت تمجيدا لك.

داخل الأرض، في أعماق البحار،
إنهم يمجدونك في الطين، وفي المناجم، وفي الجليد، وفي الحمم.

إنهم هم الذين غادروك عبر أنفسهم،
نحتوا بأياديهم صورتك.
فقد آمنوا حينئذ بالكهنة المخلصين،
امـنحهم متعة الطعام والأسِـرّةِ المريحة.

خَلـِّصْهُم من وصمة عار الخطيئة والأمراض،
قُـدْهُم بسهولة نحو أبواب «سدوم».
دعهم يعبدون بيوتهم المزينة بأكاليل الأزهار،
ليحيوْا وهم يعرفون أنهم يموتون بسهولة.

كامبو داي فيوري

في روما بـ «كامبو داي فيوري»
سلال زيتون وليمون،
والسطح المرصوص يفترشه النبيذ
وبقايا زهور
وفواكه بحر وردية
تـتناثر فوق موائد الباعة،
والعنب الداكن يُثقِلُ الذراعين
يتساقط فوق تـلال الخوخ.

هنا في هذا الميدان
أحرقوا «جيوردانو برونو»،
وأطفأ الجلاد تلال المشاعل
في دائرة من حشود البشر المتـشوقين.
وبصعوبة انطفأت المشاعل،
ومن جديد أمست الحانات ممتلئة،
سلال زيتون وليمون
حملتها رؤوس الباعة.
فتذكرتُ «كامبو داي فيوري»

في وارسو عند الأراجيح،
في أمسية ربيعية صافية
عند أصوات الموسيقى المرحة.
والمدافع من وراء أسوار المعسكر تـنطلق
قد أخمدت الألحان المرحة
وتـناثر البخار
عاليا في السماء الصافية.

أحيانا تخرج الرياح من المنازل المحترقة
تحمل طائرات ورقية سوداء،
حيث يقبض الأطفال على قطع الأوراق الممزقة المتطايرة في الهواء
المندفعة نحو الأراجيح.
وحيث تطايرت فساتين البنات
والرياح تخرج من هذه المنازل المحترقة،
وحيث يتضاحك الجميع مرحًا
في وقت الآحاد «الفارسوفية» الجميلة.

وقد يقرأ علينا أحد رسالة أخلاقية،
فحواها أن البشر الفارسوفيين[1] أو الرومانيين[2]
يتاجرون، ويمرحون، ويمارسون الحب
عبر تلال الشهداء.

---

(1) من مدينة «وارسو».
(2) من مدينة «روما».

وقد يقرأ آخر رسالة أخلاقية أخرى
عن الأشياء المتعلقة بفناء البشر،
عن نسيان، ذلك الذي ازدهر،
قبل أن تنطفئ المشاعل.

عندئذ فكرت أنا
في الوحدة القاتلة.
في أنه، عندما كان «جيوردانو»
يتقدّم نحو السقالة،
لم يكن يتكلم لغة الإنسان
ولا حتّى جملة واحدة،
يمكنه قولها،
عن الإنسانية، التي بقيت.

لقد تسارعوا مهرولين لاحتساء النبيذ،
يبتاعون قناديل البحر البيضاء،
وسلال زيتون وليمون
حملوها من بين زحام مرح.
أما هو فقد ابتعد عنهم كثيرا،
كما لو كان قد مضت قرون من الزمن،
لقد انتظروا لحظة
طيرانه من اللهب.
أما أولئك الذين قد ماتوا، وحيدين،

فقد نُسوا من قِبَل العالم،
وأصبحت لغتنا غريبة بالنسبة لهم
كلغة كوكب قديم
وأصبح كل شيء أسطورة
عندئذ وبعد سنوات طوال
في «كامبو داي فيوري» الكبرى
فإن التمرد سوف يُضرم كلمات الشاعر.

وارسو - عيد القيامة 1943

العالم

(قصيدة ساذجة)

الطريق

هناك، حيث الاخضرار يمتد في الوادي
حيث الطريق، مغطى بالحشائش حتى منتصفه،
حيث غابة السنديان، وحيث يبدأ الازدهار،
حيث الأطفال يعودون إلى البيوت من المدارس.

في «المقلمة» التي تنفتح من جنبيها،
وتطأطئ ألوان الطباشير الممتزجة ببقايا خبز
والقرش النحاسي، الذي يجمعه كل طفل
لقاء تحية طائر الوقواق الخريفي[3]

أما قبعة الأخت وغطاء رأس أخيها
فيبرقان ما بين الشجيرات النامية الكثيفة.

---

(3) يعود طائر الوقواق الخريفي إلى معتقد شعبي بولندي قديم: وهو أن المرء عندما يسمع صوته، وتكون في كفه مجموعة من القروش (الجروشات - العملة البولندية) النحاسية، فعليه أن يهز كفّه في الحال، كي يجلب لنفسه الحظ، فيأتي إليه بالثراء - المترجم.

حيث يصرخ أبو زريق من فوق الفروع طائرًا
والسحب الممتدة فوق الأشجار تتماوج.
وحيث يُـرَى السقف الأحمر عند انحناء الطريق.
عند بيت الأب، المتكئ فوق الفأس،
منحنيا، ينـثر أوراق الزهور الذابلة
وعند الأرض السبخة، تُرَى المنطقة بأكملها.

البوابـــة

في ما بعد سأخفي الشعير الكثيف،
كان لونه حتّى هذا الوقت،
يشبه لون أوراق الليلاء المائية في القاع
تـنخطف في ضوء أمسية صيفية.

حيث سطح السياج ملون باللون الأبيض:
الأبيض واللون الفاقع، دائما يبدوان كشعاع
والغريب، أن هذا لا يزعج الطيور،
حتّى إنه ذات مرة جلستْ فوقه حمامة برية
والياسمين الأصفر يضيء المكان كالمصباح

المقبض المصنوع من الخشب، دافيء ناعم طوال الوقت،
الخشب مغسول من جراء اللمس باليد.
تحت المقبض يحب «القراص» أن ينسحب رويدا رويدا
والياسمين الأصفر موجود هنا في مشكاة شاحبة.

رواق الحديقة

رواق، عند الغروب أبوابه معكوسة،
به نوافذ كبيرة. والشمس ملتهبة هنا.
والمنظر شاسع من هنا من جميع الأطراف،
عند الغابات، والمياه، والحقول والحارات.

وعندما تكتسي أشجار السنديان باخضرارها،
فإن أشجار الزيزفون ستغطي بظلالها منتصف رقعة الأرض،
فالعالم ينتهي ويتلاشى في أبديته عند أجزائها الشجرية الزرقاء،
وأوراقها تلتهمها الأنياب الملطخة.

هنا الأخ والأخت، حول المائدة الصغيرة
يركعان وهما يرسمان الحروب والمطاردة.
ويساعدان عن طريق اللسان الوردي
السفينة الكبرى، التي قد يغرق واحد من ركابها.

قاعـة طعام

الغرفة، النافذة السفلية، والظل البني
وساعة «جدانسيك»[4] القديمة صامتة في الزاوية.
والكنبة القصيرة المغطاة بالجلد، فوقها رأسا
شيطانين متضاحكين منحوتين
وبطنها مُزيّن بالنحاس المصقول.

وفي أعلى الحائط لوحة.. منسدلة حتّى الأرض:
ومن بين الأشجار تـتزحلق فوق الجليد
مجموعة من البشر، والدخان يخرج من عمود المدفأة
والغربان تطير في الجو المغطّى بالسحب.

وساعة قديمة ثانية. والطائر يقبع هناك بالداخل،
وتهرول فيُـسْمَع صريرها وتصرخ مرات ثلاث.
وتبلغ صيحتها المرة الثالثة بصعوبة،
والحساء الساخن المتبخر تسكبه الأم من الآنية.

---

(4) مدينة «جدانسيك» مدينة وميناء، تقع في شمال بولندا - المترجان.

السلم

المعجون الأصفر النافذ الرائحة
درجات السلم ضيقة - من يسير بالقرب من الحائط،
فهو حتّى بمقدمة حذائه الحادة يمكن له أن يصل،
أما عند الدرابزين فيصعب على القدم أن تقف.

رأس الخنزير البري يحيا، بضخامته في الظل.
في البداية تظهر أنيابه فقط، وبعد ذلك يطول
وفمه الحيواني يتجول ببصره، يشتمُّ القبو،
أما الضوء في ارتعاشه فيتـناثر عبر الغبار.

تحمل الأم من تحت السلم المشاعل التي تبرق بريقا خاطفا.
يهبط فستان طويل، مربوط بحزام في الوسط
حيث يلتقي ظله بظل رأس الخنزير البري:
مع وجود حيوان مخيف كهذا يصارع بمفرده.

لوحـات

كتاب مفتوح. والعِـتـَّة في طيرانها المتأرجح
تطير فوق المركبة ذات العجلتين في البِرْكة الرطبة.
ممسوسة، تـتساقط متناثرة في غبار أصفر
عند الصيحة اليونانية لمدينة قد استُولى عليها.

تلامس المركبة السطح الحجري
تصدم رأس البطل الذي تجره العربة،
والعِتـَّة، تلتصق ببطاقة بعد التخلص منها،
وعلى جسدها، تـتأوه وهي تُصدر أزيزًا، وتموت.

في الوقت نفسه كانت السماء تتـلـبَّد بالغيوم، ويطرق الرعد بدقاته،
والصرير المنبـثق عن الصخور يهرب إلى البحر.
وفي الجوار تهرول البغال نحو الرقاب المستعبدة
والفلاح العاري يحرث الأرض.

الأب في المكتبة

الجبهة مرتفعة، وتحتها الشعر مهوشٌ
سقطت فوقه الشمس.
والأب لديه من زغب الطير تاج ناصع،
وهو يتصفح أمامه كتابا ضخما.

من فوقه الرداء النموذجي كرداء الساحر،
يتمتم بصوت يتخلله مواء هامس،
مندهشا بما يحدث داخل الكتاب،
سوف يتعلم، من علّم الدنيا السحر

تعاويذ أبويـة

أوه أيها الحكيم الجميل، بكثير من الهدوء
تملأ حكمتك الصافية القلب!
أحبك، فإنني تحت رعايتك،
مع أنني لن أرى وجهك أبدًا.

رمادك قد ازدهر منذ أمد بعيد،
لم يعد يتذكر بَعْـدُ الآثامَ والجنون.
فأنت ما تزال متكاملًا للأبد
ككتاب قديم، انتزعت منه الأفكار التي أتت من العدم.

أنت عرفت المرارة وعرفتُ أنا الشك،
وأخطاء ذاكرتك قد امَّـحتْ.
أعرف، لِـمَ أقدرك اليوم:
لأن البشر صغار، لكن أعمالهم كبـيرة.

عبر النافذة

من خلف الحقل، والغابة، ومن خلف الحقل الثاني
المياه الضخمة عبر المرآة البيضاء تتلألأ
ومن فوقها أرض مستوية ذهبية
تغطس في البحر كزهرة «التوليب» في آنية صغيرة

قال الأب، هذه هي أوروبا.
في القاع يُرى كل شيء بوضوح، وكأنه يُرى فوق الأكف،
حيث ما يزال الغمام موجودًا بعد فيضانات فضية،
حيث البشر القاطنون والكلاب والقطط والخيول

المدن الملونة تبرق هناك عند الأبراج،
كما لو كانت خيوطا من فضة تتشابك كخصلات الشعر
والجبال القمرية، تبدو كما لو كانت تغتسل فيها الأوز
إنها هنا، إنها هناك، تغطي الأرض.

الأب يشرح

هناك حيث الشعاعُ يلامس الأرض المنبسطة
والظل يتسرب، كما لو كان يعدو مهرولا حقًا،
وارسو واقفة، من جميع الأنحاء منكشفة،
مدينة ليست بالقديمة، لكنها ذائعة الصيت دوما.

وفيها بعد تنهمر من الغمام خيوط المطر المعلقة،
فوق أخاديد هضاب البساتين،
هذه «براغا»[5]. تحت سفحها قلعة روعتها مشهودة،
مشيدة فوق جبل، كما كان متبعا.

هنا، حيث المدنُ الصغيرةُ البيضاءُ تـقـتسمها الرغوات البيضاء،
هذه هي جبال الألب. حيث السواد - إنها غابات خشب «التّنوب».
ومن خلفها، في الشمس مسابح صفراء
وكأن إيطاليا تقع فوق طبق شديد الزرقة.

في المدن الرائعة، التي تعلو مرتفعة أكثر فأكثر،

---

(5) المقصود «براغ» عاصمة التشيك.

تتعرفون على روما، عاصمة المسيحية،
عبر قباب الكنائس المستديرة،
أو كنيسة القديس «بطرس».

وهناك، في الشمال، من خلف الخليج البحري،
يتمايل الضباب الأزرق من فوق اليابسة،
حيث تودُّ باريس أن يرافق البرج خطواتك
وحظيرة المدن تتلوى متعدية الأنهار.

ومدن أخرى تتشابه مع باريس
مزينة بالزجاج، مشبتة بالمعادن.
لكن ما قلته اليوم كان أكثر من اللازم.
البقية سأحكيها لكم يوما ما مرة أخرى

أمثولـة عـن «الخشخاش»

فوق بذور «الخشخاش» يقف بيت صغير،
حيث تنبح الكلاب نحو القمر «الخشخاش»
فلمَ تعتقد الكلاب وهي ما بين «الخشخاش»،
أن العالم أكبر، هذا لم يدُرْ في مُخيّلتها!

الأرض هي بذرة - ليس إلا في الحقيقة
والبذور الأخرى - هي الكواكب والنجوم
مع أنه يمكن أن تصبح مائة ألف ربما،
فبيت ذو حديقة يمكن أن يوجد هنا وهناك

الكلُّ في «الخشخاش».. إنه ينمو في الحديقة،
الأطفال تعدو و«الخشخاش» يتمايل.
وفي الأمسيات، ينير القمر
الكلاب تنبح في مكان ما، بنباحها العالي هنا، والخافت هناك.

عند زهور «الفاوانيا»(6)

تزهر «الفاوانيا»، بيضاء ووردية،
كأن في داخل كل منها، قارورة معطرة،
حيث سرب من الخنافس الصغيرة تتحدّث،
أما زهرتـنا فهي وفية للخنافس ومأوى لها

تـقف الأم عند قطعة الأرض التي زُرعت فيها «الفاوانيا»،
تبسط يدها لتـقطف الزهرة وتـنـثر بتلاتها،
وتنظر طويلا إلى تربة «الفاوانيا»،
وتبقى السنة الزمنية بالنسبة للبعض مجرد لحظة واحدة

عندئذ تتساقط الزهرة وما الذي تفكر فيه،
وتكررالأم بصوت عال سؤالها للأطفال ولنفسها
الرياح تهز الأوراق الخضراء برفق
وقطيرات الضوء تهرول فوق الوجوه.

(6) «الفاوانيا»: عود الصليب: نبات ذو زهرات كبيرة حمراء أو قرنفلية أو بيضاء - القاموس العربي (المورد) -المترجمان .

إيمـــان

الإيمان في داخلك، عندما ترى
ورقة خضراء فوق الماء أو قطرة ندى
وتعرف، أنها موجودة – فوجودها ضروري
حتّى لو اغتمضت العينان وتخيّلت،
ففي العالم سيكون الموجود فقط، هو ذلك الذي كان،
والورقة الخضراء ستأخذها مياه النهر معها.

الإيمان هو أيضًا، عندما تجرح قدمك
بالحجر وتدركُ، أن الأحجار
موجودة هنا كي تجرح أقدامنا.
فلتـنظروا، كيف أن الأشجار تَبْسُط ظلالا طويلة،
ونحن، والزهور عبر الظلال نـتساقط فوق الأرض:
فالذي ليس له ظل، ليست له قوة ليحيا.

أمـل

الأمل يوجد، إذا آمن أحد،
بأن الأرض ليست حلما، بل هي جسد حي،
وبأن البصر، واللمس وليس السمع ، لا يكذبان.
وبأن جميع الأشياء، التي عرفتـها هنا،
هي مجرد بستان، تنظر إليه وأنت واقف عند بوابته.

فالدخول إليه مستحيل ، ولكنك متيقن بأنه موجود.
لو أننا نظرنا أفضل وبحكمة أكثر،
فإن أكثر من زهرة جديدة
وأكثر من نجم واحد
سوف نراها في بستان العالم

يقول البعض، علينا ألا نثق بأعيننا
وأنه لا يوجد شيء، إنه فقط يبدو لنا أنه موجود!
ولكنّ هؤلاء بأعينهم ليس لديهم أمل.
يعتقدون، أن الإنسان عندما يعود بظهره إلى الخلف،
فإن العالم كله سيتوقف عندئذ عن الوجود،
كما لو كان قد اختطفته يدا لص.

الحب

الحب يعني أن تنظر في داخلك،
مثلما يُنْظر إلى الأشياء الغريبة عنا
لأنك مجرد واحد فقط من عدد من الأشياء
ومن ينظر على هذا النحو، على الرغم من أنه لا يعرف،
فإن جروح قلبه ستندمل من كلِّ العلل
وسيقول له الطائر والشجرة: أيها الصديق

عندئذ يريد أن يستخدم نفسه والأشياء،
لتقف معا متوهجة بالغة حد الكمال
وليس مهما، أن الإنسان أحيانا لا يعرف، من الذي يخدمه:
فليست الخدمة الأفضل، هي تلك التي يمكن إدراكها!

رحلة إلى الغابة

الشجرة ضخمة، لدرجة أن قمتها لا تُرى،
وعند غروب الشمس يحترق اللون الوردي
وعند كل شجرة يبدو وكأن ثمة شمعة،
والناس الصغار يسيرون على قارعة الطريق

نرفع رؤوسنا عاليا، وتتشابك الأيادي،
كي لا نفقد طريقنا داخل شرك الأعشاب الكثيفة
لقد بدأ الليل في وضع أختامه على الزهور
ومن الجبال يتدفق اللون ألوانا

وهناك من تحتـنا مأدبة ، قوارير من ذهب،
نبيذ أحمر في زجاج الحور الرجراج النحاسي
وحافلة كبيرة منقولة جوا تحمل الهدايا
لغير المرئيـين من الملوك والدببة.

مملكة الطيور

تطير طيور «الطيهوج» الثقيلة عاليا
تـقطع السماء فوق الغابات بأجنحتها
والحمامة ترجع ثانية إلى هواء الأدغال،
والغـراب يومض كطائرة فولاذية

ماذا تكون الأرض بالنسبة للطيور؟ ظلام نهر
الليل يلتهمها دوما، وهي
عند الشفق تبدو كموجة سوداء
البيوت والجُـزُرُ في حماية النور

فلو هيّأ كل منها منقاره لينظف ريشه
فسوف تسقط ريشة واحدة ، يتوالى بعدها سقوط الريش طويلا،
قبل أن تشدها أعماق النهر إليها.
وتغسل وجه إحداها ، عندئذ تتوالى الأنباء،
من العالم المستضيء، الجميل، الدافئ، والحُـر.

الخــوف

«أبي، أين أنت! الغابة مظلمة، الغابة موحشة،
فالكائنات الحية تتمايل فوق الأغصان المقطوعة
والسحلبية تحرقها النيران المسمومة
وتحت الأقدام تـتسلل الذئاب من حُفرها.

أين أنت، يا أبي! فالليل ليست له حدود
بدءًا من هذه اللحظة سيستمر الظلام دومًا.
ويموت الرحالة من الجوع ، بلا مأوى،
خبزنا مر، جاف كالحجر.

أنفاس حارة في مواجهة حيوان بشع
يتّجه، مباشرة نحو الوجه ، والعفن يخرج منه.
إلى أين تركتني، يا أبي، ألا تشعر بالأسى
طفلك قد فُـقِدَ في هذه الغابة المخبولة الصماء.

اكتشـاف

«أنا هنا. من أين يأتي هذا الخوف غير المفهوم؟
سوف يتلاشى الليل بعد قليل، والنهار سيأتي غير بعيد.
وستـشحب النجوم تحت ضباب وردي

الطريق بسيط ، نحن على الحافة.
هناك في الأسفل جرس يدق في القرية.
الدِّيَـكة تحيي الضوء في الطين
وتـنشر غبارًا في الأرض، المترفة والسعيدة.

ما يزال المكان مظلما ، كيف يكون النهر في أثـناء الطوفان
ضبابيا أسودَ من العُـنيِّـبات يحتضنها.
ولكنه في الماء، حيث يدخل الفجر على عُكّازاته
عندها تقرع الأجراس فتدور الكرة الشمسية».

الشمس

جميع الألوان تأتي من الشمس ، ولكنّ الشمس غير موجودة
لا يوجد لون مستـقل، فيه كل شيء
الأرض بكاملها كأنها قصيدة شعر،
والشمس فوقها تمثـل فنانا.

من يريد رسم العالم في شخصيات ملونة،
فعليه ألّا ينظر أبدًا مباشرة نحو الشمس.
لأن ذكرى الأشياء، التي شاهدها، سوف يفقدها
الدموع فقط في العيون تظل راكعة.

فليركع إذن، ذلك الوجه القريب من العشب ينحني
ولينظر نحو الشعاع الناشئ من انعكاس الأرض.
هناك حيث يوجد كل ذلك، الذي هجرناه:
النجومُ والورودُ، والغسقُ والفجرُ

وارسو 1943

أصوات البشر الفقراء

«أغنية عن نهاية العالم»

في يوم نهاية العالم
تدور النحلة فوق زهرة «البرسيم»،
والصياد يعد شباكه البرَّاقة.
تقفز في البحر الدَّلافين المرحة،
والعصافير الصغيرة تتقافز في المزراب
والثعبان في جلده الأصفر، كما هو دائمًا

في يوم نهاية العالم
تذهب النساء نحو الحقول وفوق رؤوسهن المظلات،
سكير يغفو على ضفة الحشائش،
ينادي بائع الخضروات في الشارع
وقارب بشراعه الأصفر يبحر نحو الجزيرة،
صوت الكمان في الهواء ما يزال مستمرا
ويتفتح الليل المليء بالنجوم.

والبعض الذين كانوا ينتظرون البروق والرعود،
خاب رجاؤهم

أما أولئك المنتظرون العلامات وأبواق الملاك «جبرائيل»
فإنهم لا يؤمنون بأن هذا يحدث بالفعل
ما دامت الشمس والقمر في الأعالى،
فإن الحشرة الطنانة تزور الوردة،
لا أحد يُصَدِّق أنّ هذا يحدث بالفعل.

إنه فقط المسن الأشيب، الذي كان يمكن أن يكون نبيا،
ولكنه ليس نبيا، فلديه مشاغل أخرى،
يكرر قائلا وهو يُقوِّي سيقان الطماطم بفروع الشجر كي تنتصب:
لن تكون هناك نهاية أخرى للعالم ،
لن تكون هناك نهاية أخرى للعالم.

وارسو 1944

تراتيل مواطن

الحصاة في القاع، كانت شاهدا على جفاف البحور
ومليونٍ من الأسماك البيضاء القافزة في النزع الأخير -
وأنا، الإنسان المثير للشفقة، أرى الدهماء من البشر البيض ذوي الكروش
بلا حرية. أرى السراطين تتغذى على أجسادهم

أرى سقوط الدول وضياع الأمم،
هروبَ الملوك والقياصرة، وجبروت الطغاة.
يمكنني القول الآن، في هذه الساعة،
- على الرغم من أن كل شيء يلفظ أنفاسه الأخيرة -
إنه من الأفضل أن تكون كلبا حيا من أن تكون أسدا ميتا،
كما يقول الكتاب المقدس.

أنا، الإنسان المثير للشفقة، الجالس، فوق كرسي بارد، بعينين جاحظتين،
أتنهدُ وأفكّر في السماء الزاخرة بالنجوم،
في الفضاء غير الإقليدسي، وفي الأميبا النامية،
في روابي النمل الأبيض العالية.

عندما أسير، فإنني أسير نوما، وعندما أنام، أحلم بالواقع،
أعدو متسرعًا ومغرورقًا بالعرق،

نحو ميادين المدن، التي اختلسها بزوغ النهار الساطع،
عند بقايا أبوابها المرمرية المدمرة
حيث أتاجر في الفودكا والذهب.

كنت في معظم الأحوال أكثر اقترابا،
حيث بسطت يدي نحو قلب المعدن، من روح الأرض، والنار، والماء،
والمجهولُ كشف عن وجهه،
كما يكشف الليلُ الهادئُ نفسَهُ من انعكاسِ النبع.
وصافحتني بساتين الأوراق النحاسية البراقَة،
التي تنطفئ، عندما أمسك بها.

وقريبا قريبا، بالقرب من النافذة، عوالم دافئة برتقالية،
حيث الخنفساء الصغيرة والعنكبوت متساويان، بحجم الكوكب السَّيَّار،
مثلما يضيء كوكب زحل الذرّة المرتحلة،
وفي الجوار يترقرق الإبريق البارد المرفوع نحو الشفاه
في صيف قائظ.

هذا ما أردتـُه ولا شيء أكثر ، في عمري المتأخر
مثل «جوته» المسن واقفا أمام وجه الأرض
يتعرف عليها، ويروضها
مثل عمل إبداعي مرتفع، كالقلعة في الغابة
عند نهر يتغير فيه الضوء والظلال غير المستمرة

هذا ما أردتـُه ولا شيء أكثر
مَنْ إذن المذنب؟
مَنِ الذي جردني من شبابي وسنوات النُّضج؟
من الذي جفف أفضل سنوات عمري في الرعب؟
مَنْ؟
مَنِ المخطئ، ومَنِ الخَطّاءُ، يا إلهي؟

يمكن لي أن أفكر فقط في السماء الزاخرة بالنجوم،
وفي روابي النمل الأبيض العالية!

وارسو 1943

الشاعر المسكين

أول حركة مغناة
والصوت الحر زاخر بالجبال والوديان.
أول حركة فرح
ولكنه فرح سيبقى مسلوبا.

وعندما تغير السنوات دمائي،
وعندما تتوالد الآلاف من أنظمة الكواكب السيارة وتنطفئ في الظل،
أجلس، أنا الشاعر الحكيم والغاضب،
بأعين مُقيّدة أغضُّ بها الطرف،
وأزن في كفي القلم
وأقتسم الثأر.

أضع القلم، وأنزع شِراكَ الدغل والأوراق، فتنكشف الأزهار،
ورحيق تلك الشجرة غير خجل، لأنه هناك، فوق أرض حقيقية
أشجار كهذه لا تنمو كما لو كانت مهانة
بسبب ما تعانيه الإنسانية من رحيقها

البعض يحتمون في القنوط، وهو حلو
كالتبغ القوي النفاذ، ككأس فودكا قد احتسيت في ساعة الإبادة
والبعض الآخر يحدوهم أمل الأغبياء، الورديُّ كحلم مثير للشهوة

والبعض الآخر يجدون السكينة في الحب الأعمى للوطن.
الذي يمكن أن يدوم طويلا،
ولكن ليس أكثر، من طول القرن التاسع عشر

ولكني قد وُهِبْتُ الأمل الساخر،
فمنذ أن تفتحت عيناي، لم أر شيئا غير الحرائق والمذابح،
غير الجورِ، والإذلال وعار التيه بالنفس، المثير للضحك.
وُهِبْتُ أمل الثأر منَ الآخرَين ومن نفسي ذاتها،
حيث كنت ذاك، الذي رأى
ولم يكسب لنفسه من ذلك ربحًا

وارسو 1944

المقهى

من هذه المائدة في المقهى،
حيث تألق في عصر يومٍ باردٍ بستانٌ من الصقيع،
بقيتُ وحيدا
كان يمكنني الذّهابُ إلى هناك، لو أردت،
والأصابع تدق في الفراغ البارد
وهي تنشدُ الظّلال.

وبشكل لا يصدق ألمس المرمرَ البارد،
وبشكل لا يصدق ألمس يدي:
هنا - يكون وأنا أكون في تلك القصص الآتية،
أما هم فمنعزلون الآن وإلى الأبد
في كلماتهم الأخيرة، في نظراتهم الأخيرة.
إنهم منعزلون كالقيصر «ڤالنتينيان»،
كقادة «ماسّاجيتس»، الذين لا أعرف عنهم شيئا -
مع أنه قد مرّت سنة تقريبا، أو سنتان أو ثلاث.

يمكنني أن أكون قاطع أشجار في الغابات الشمالية البعيدة،
يمكنني أن أخطب فوق المنصة أو أصور فيلما

بالطرق التي لم يعرفوها هم
يمكنني أن أعلّم كيفية تذوق الفواكه من جزر المحيط
وأن تكون لديَّ آلة فوتوغرافية في زِيٍّ يعود إلى طراز النصف الثاني من القرن العشرين.
وهم يبدون دائما كتماثيل نصفية في قمصان متجعدة وفي «الفراك»
كقاموس «لاروس» الضخم

وفي أحيانٍ عندما يصبغ بزوغ المساء أسقف الشوارع الفقيرة
وأحدق في السماء – أرى هناك، في الغيوم البيضاء،
مائدة مترنّحة ، والنادل يلف ويدور بصينيته،
وهم ينظرون إليّ منفجرين في الضحك.
لأنني لم أزل لا أعرف: كيف يموت الإنسان بيد الإنسان القاسية؟
لكنهم يعرفون، إنهم يعرفون جيدا.

وارسو 1944

مسيحي فقير ينظر نحو «الجيتو»

يعيد النحل بناء الكبد الحمراء،
يعيد النمل بناء العظام السوداء،
يُبْـدَأ في التمزيق، دهس الحرير
يُبْـدَأ في تكسير الزجاج، الأشجار، النحاس، النيكل، الفضة، الرّغاوي
الجبس، قطع الصُّـلب، أوتار كمان، ترومبيت، أوراق شجر، طلقات،
كريستال - لهاث! نيران فوسفورية من الحوائط الصفراء
التهام الحيوانات والشعور البشرية.

يعيد النحل تشييد مقطع من الرئة،
يعيد النمل بناء العظام البيضاء،
ملتهمًا الأوراق، المطاط، قطع القماش، الجلد المدبوغ، خيوط الكتان،
نسيج الألياف، الأقمشة، السيليلوز، الشَّـعْرَ، قشرة الثعبان، الأسلاك،
يضرب في نيران السقف، الحوائط، والالتهاب ينفذ في الأساس.
إنها فقط رمال، مدهوسة، وشجرة بلا أوراق
إنها الأرض.

بطيئا بطيئا في تجويف النفق، يحفر «الخُـلْد» الحارس طريقه،
ومصباح أحمر صغير معلق بالجبهة.

يلمس أجساد المدفونين، يُحْصِي، ويندفع إلى الأمام،
يفرق ما بين رماد البشر عبر الضباب المضيء،
فرماد كل إنسان بعد الآخر يتلون مثل قوس قزح
يعيد النحل بناء الظل الأحمر،
يعيد النمل بناء مكان فوق جسدي.

أشعر بالخوف، أخاف من «الخُـلْد» الحارس
جفناه ضخمان مثل جفنيْ البطريرك،
حين يجلس كثيرا في ضوء الشموع الملتمع
قارئا في كتاب «الأنواع» المقدس الضخم

ربما يكشف عني الجسد المفتت عبر نظراته
ويعدُّني من بين معاوني الموت.

وارسو 1943

عند الضاحية

اليد بالورق تقع
في الرمال الملتهبة،
الشمس المبيضة تسقط
في الرمال الملتهبة،
«فيليك» يحتفظ بالورق، «فيليك» يوزعها علينا،
واللمعان يهيمن على حزمة الورق،
الرمال ملتهبة

الظل المنثني نحو المدفأة نادرا ما يستمر.
وما تزال المدينة تُشَيَّدُ من طوب دَموي.
اللّون الأشْقر يهرب، الأسلاك تتشابك عند المحطات
وقطع العربة الصدئة تبدو كضلع جاف
كالطين الملتمع

ربع لتر من زجاجة «فودكا» مدفون
في الرمال الملتهبة،
نقطة المطر قد غبّـرت
الرمال الملتهبة.
«يانيك» معه الورق، «يانيك» يوزعه علينا،

نلعب الورق وتتطاير أيام مايو،
نلعب عاما، عامين، نلعب حتّى عامًا رابعًا،
واللمعان الناتج عن السواد يجعل الورق يغفو
في الرمال الملتهبة.

وما تزال المدينة تُشَيَّدُ من طوب دَموي،
تتكئ شجرة صنوبر على بيت قديم،
الظِّلال فوق الرمال تـتـناثر والأرض المنبسطة تتساوى بالأفق.
والغبار الجيري، يدحرج المركبات،
وفي تلك المركبات أنات عويل.

خذ الماندولين، إنه الماندولين
فلتعزف عليه كل هذا
هاي - هو.. الإصبع على الوتر.
أغنية رائعة
حقل عقيم.
والكأس قد شُـرب،
فليس ثمة حاجة لأكثر من ذلك.

انظر، على الطريق تسير فتاة جذابة،
حذاء من الفلين، شعر معقوص،
فلتأتِي إليّ هنا، يا فتاة، فلتقضي معنا وقتا طيبا.
حقل عقيم،
وتغرب الشمس.

وارسو 1943 - 1944

وداع

أكلمك بعد سنوات من الصمت،
يا بنيّ . لا توجد «فيرونـا».
مسحتُ غبارَ الطوب الأحمر من أصابعي.
وهذا ما تبقّى من الهوى العظيم للمدن الأصيلة.

أصغي لضحكك في البستان. وفي الربيع المخبول
الرائحة المنبعثة من الأوراق المنداةُ بالطل تأتي إليّ،
تأتي إليّ، أنا الذي لا أومن بأية قوىً سحرية منقذة
أنا الذي بقيت من بعد الآخرين ومن بعد نفسي.

لو أنك عرفت، كيف يكون الأمر، عندما
يستيقظ ليلًا شخص ما فجأة متسائلا،
مصغيا لدقات القلب: ما الذي تريد أكثر من ذلك،
نهما لا يشبع؟ ربيعا؟ عندليبا يغني؟

الضحك الطفولي في البستان. النجمة الأولى الصافية
تنفتح على زَبَـد الهضاب غير المزهرة
ومن جديد يعود حفيف غناء على شفاهي
ومن جديد أكون فتيا كالأيام الماضية، في «فيرونـا».

فلتلفظ.. فلتلفظ كل شيء.. فليس هذا هو المقصود.
لن أعود لأحيا ولن أعود إلى الماضي.
لتغنوا، روميو وجولييت، فوق مسند الرأس من الأقلام المنكسرة،
لن أرفع من الرماد أياديكم الموثقة.
فليزرِ القط الكاتدرائية المهجورة
منيرا الـمَذْبَح ببؤبؤ العين.
بومة تصنع عشها في الضلع المنحرف.

في ذلك القيظ، لعصر يوم أبيض، من بين مثالب الثعابين
فلتدفئ نفسها فوق أوراق الزهور البرية وفي الصمت
فلندعه يسطع بريقه في دوائر المرايا ذهبًا غير ضروري
لن أعود، أريد أن أعرف، ما الذي تبقّى
بعد لفظ الربيع والشباب،
بعد لفظ الشفاه القرمزية،
التي تنبعث منها في الليالي المتقدة
موجة قيظ

بعد لفظ الأغاني ورائحة النبيذ،
والقَسَمِ والعويلِ والليالي الماسية،
وصراخِ النوارس، التي يطاردها بريق
شمس سوداء.

من الحياة، من التفاح، المقطوع بسكين ملتهب،
ما الذي يمكن أن ننقـذ به القـدْرَ الضَّئيلَ منها.

يا ولدي، فلتصدقني، لم يبق شيء.
سوى عمر الرجل البالغ رَشدا،
يَحْفُرُ قَـدَرَهُ في كفيه.
فقط عمره،
ليس أكثر.

كراكوف 1945

في وارســـو

ما الذي يفعله الشاعر عند خرائب كاتدرائية
سانت جون،
في هذا اليوم الربيعي الحار؟

ما الذي تفكر فيه هنا، حيث الرياح
من ضفاف نهر «الفيسوا» تهب مبعثرة رماد الخرائب من الطوب الأحمر؟

أقسمت لي، إنك لن تكون
ندابة في عزاء
أقسمت لي، إنك لن تلمس أبدًا
الجراح المثخنة الكبرى لوطنك،
كي لا تحيلها مقدسة،
فليُـلْـعَن المقدس، ذلك الذي يطاردُ
الأحفاد عبر القرون المتوالية

لكنّ بكاء «أنتيجون» هذا،
حيث تبحث عن أخيها،
إنه في الحقيقة يتعدّى حدود التحمل.

والقلب صخرة، فيها حشرة
مسجونة داخل جب مظلم
لأرض أصابها الشقاء

لم أرد أن أحب هكذا،
لم يكن هذا مقصدي.
لم أرد أن أشعر بالشفقة هكذا،
لم يكن هذا مقصدي.
ريشة قلمي أخف
أكثر خفة من ريش الطائر الطنان.. لقد ثقلت عليّ
ليس بقدر قوتي
كيف لي أن أسكن في هذه البلاد،
حيث القدم تصطدم بعظام
أقرب الأقرباء غير المدفونين؟
أسمع أصواتا، أشاهد ضحكات. لا أستطيع
أن أكتب شيئا، لأن ذا الأيادي الخمسة
يمسك بقلمي
يأمرني بأن أكتب سيرتهم،
سيرة حياتهم وموتهم.
فهل أنا مخلوق لهذا،
كي أصبح ندابة عزاء؟
أنا أريد أن أبتهج لاهيًا،

حيث الغابات الخضراء البهيجة التي
قادني إليها شيكسبير
فلتتركوا للشاعر لحظة بهجة،
وإلا سيَهْلكُ عالمكم

من الخبل الحياة هكذا بلا ضحك
وأن تكرر جملا
تتجه نحوكم أيها الموتى،
نحوكم، أنتم المقتسمين الأفراح
وفعلَ التفكير والجسدَ،
والأغاني،
والمآدب.
كلمتان قد أنقذتا:
الحقيقة والعدالة.

وارسو 1945

تكريس (إهداء)

فلتسمعني.
أنت، الذي لم أستطع أن أعتقك،
فلتفهم هذا الحديث البسيط؛ لأنني أخجل من الحديث الآخر
أقسم، إنه ليست بداخلي كلمات عرافة
أتحدث إليك في صمت، كالغمامة أو الشجرة.

هذا الذي منحني القوة، كان بالنسبة إليك موتا.
رحيل الحقب اعتبرتـها بداياتٍ لحقب جديدة،
استلهام الكراهية عبر شعر غنائي جميل،
والقوى العمياء عبر صياغة بارعة.

هذا وادي الأنهار البولندية الضحلة. والجسر الضخم
سائر في الضباب الأبيض. هذه مدينة محطمة،
والرياح ألقت بصراخ النوارس نحو قبرك،
عندما تحدثتُ معك.

ما قيمة الشعر، الذي لا يحرر
الأمم أو البشر؟

إنه بهذا مشارك في الأكاذيب الرسمية،
في أغاني السَّكارَى، الذين سيقطع أحد رقابهم بعد لحظة،
مجرد قراءة مدرسية في غرفة طالبة.

ذلك، لأنني أردت شعرا جيدا، دون معرفته،
ذلك، لأنني أدركت مؤخرا طموحه المفيد،
فإن هذا، وهذا فقط، هو الخلاص.

لقد نُـثِرَتْ فوق الرفات حبوبُ الـذرة أو الخشخاش
مغذية الموتى الذين يطيرون كالطيور.
هذا الكتاب أضعه هنا لك، وقد أصبح داكنا،
فلا تزُرْنا بعد الآن.

وارسو 1945

مختارات من ديوان
«ضوء يومي»

(1953)

أغنية حول الخزف الصيني

صحن فنجاني وردي اللون،
وفنجاني مزين برسوم زهرية،
يرقد فوق ضفة النهر
حيث تمر الدبابات من هناك.
حيث تتطاير الرياح من فوقكم،
ويتناثر ريش الطيور من الوسائد،
ويسقط فوق بقعة سوداء
لظل فرع منكسر من شجرة تفاح
حيث الأرض يُـنْـظر إليها مغطاة
ببقع من الرّغوات الهشة
ليس ثمة شيء يا سيدي يعادل
أساىَ على الخزف الصيني

عند بزوغ الفجر بالكاد
بدءًا من تدفئة السماء
يُسْمَعُ أنينُ الأرض
تَصدُّعُ صحون الفناجين وتفتتـُها.
أحلامُ الحرفيـين الغالية،

ريشُ البجع المتجمد
تسير نحو جداول المياه تحت الأرض
ولا أحد يذكر عنها شيئا.
ولذلك عندما أفيق في الصباح
أعْبُرُ ذلك كله متفكِّرا.
ليس ثمة شيء يا سيدي يعادل
أساىَ على الخزف الصيني.

السهل المنبسط نحو ضفة الشمس
مغطًّى بخليط من قشور المحارات.
حيث أغلفتها تطقطق بشدة
تحت حذائي تئز
حول الزخرفة التي تتفجر
والتي أسعدتني ألوانها
هي الآن قد أصابها الوسخ
حيث تَخَثَّرَتْ الألوان بشكل قبيح.
حيث ترقد طازجة فوق أكمات التلال
حيث أذن الفنجان، وقاعُهُ، والأباريق
فليس ثمة شيء يا سيدي يعادل
أسايَ على الخزف الصيني.

واشنطون دي.سي، 1947.

طفل أوروبا

1

نحن، الذين تحترق رئاتـنا الأيام السعيدة
ونرى فروع أشجار تزدهر في شهر مايو
نكون أفضل من أولئك الذين قد أبيدوا

نحن، الذين نمضغ الطعام ونتذوَّقه طويلا
ونقـدِّر تقديرًا كاملًا ألاعيب الحب
نكون أفضل من أولئك الذين قد دفنوا

من الأفران المشتعلة، من خلف الأسلاك الشائكة التي تـصفر من خلالها الرياح
في أيام الخريف اللا نهائية،
من المعارك عندما يزأر الهواء الجريح متشنجًا
قد أنقذنا فنُّ الاحتيال والمعرفة.

ولكي يرسلوا آخرين إلى أكثر الأمكنة تعرضًا للخطر،
فإنهم يستـنفرونهم عبر صراخهم الداعي للحرب،
منسحبـين عندما يتوقعون أنهم في موقع الخسارة.
عند القيام بالاختيار: موتِه أو موتِ الصديق
اخترنا موته، وقد فكرنا بلا انفعال: فلنقم بفعل ذلك على وجه السرعة.

لقد أغلقنا أبواب أفران الغاز بإحكام، وسرقنا الخبز،
ونحن نعرف أن اليوم التالي سيكون أكثر ثقلا من اليوم الذي قبله.

وكما هو متعارف عليه عند البشر، اكتشفنا الخير والشر.
فليس لحكمتنا الخبيثة مثيلٌ فوق الأرض.

علينا أن نعترف كحقيقة ثابتة، بأننا أفضل من أولئك،
سريعو التصديق، متقدون في حماسنا وضعفاءُ، غيرُ مقدرين الحياة.

2
فلتحترم براعة ميراثـك، يا طفل أوروبا.
وريثة الكاتدرائيات القوطية، والكنائس الباروكية
والمعابد التي تعالى فيها بكاء الشعب المظلوم،
وريثة «كارتيزيوش» و(ديكارت Descarate) و«سپينوزا»،
الذين توارثوا كلمة «الشرف»،
رسالة عزاء «ليونيدز – Leaonidas» يتيم المولد أمام قبر أبيه،
فلتحترم براعة ميراثك ساعة الخطر.

عقلك المدرب، يمكنه التعرف الفوري
على الجانب السيء والخيِّر لكل شيء.
عقلك المتشائم المتأنق، الذي يمنح السرور
لأولئك الذين لا يعرفون شيئا عن الشعوب البدائية.

إن كان دليلك عقلا كهذا، فبمقدورك التعرف الفوري
على صواب النصائح التي نقـتسمها معا.
فلتذب عذوبة اليوم داخل رئتـيك.
لهذا السبب نحن حكماء ولكن داخل أطر اللوائح.

3

لا يمكن أن يكون ثمة حديث حول القوى المنتصرة
فهذا العصر عصر انتصار العدالة.

لا تذكر القوة، حتّى لا تـتهم
بدعمك السريّ للمبادئ الهدّامة.

فذلك الذي يملك السلطة، يملكها وفقا لمنطق التاريخ.
فلتمنح منطق التاريخ ما يستحقه من احترام.

لا تجعلهم يرون شفاهك وهي تعلن ذلك الرأي
لا تجعلهم يرون يديك وهي تزيّف التجارب.
والأيادي التي تقوم بتزييف التجارب.

تعلم كيف تتـنبأ بوقوع الحريق بكل تفاصيله الدقيقة
لتقوم بعد ذلك بإحراق البيت ويتحقق ما كان ينبغي حدوثه.

4

من بذرة الحقيقة الصغيرة ازرعْ شجرةَ الكذب،
لا تقلد أولئك الذين يكذبون، ويستخفون بالواقع.
فلتجعل من الكذب أكثر منطقية حتّى من الحقيقةِ نفسِها،
إلى أن يجد الـمُـتـْعَـبون من ترحالهم مواساة في الكذب.

وبعد يوم من الكذب، فلنجتمعْ في دائرة مختارة من الرفاق
حيث نضرب على أفخاذنا من الضحك، عندما يذكرنا أحد بما صَنَعْناه.

عندما توزع المديح تحت مسمى: ثاقب الفكر
أو المديح تحت مسمى: موهبة كبيرة.
فنحن آخر العارفين بكيفية استخراج البهجة من الاستخفاف
ونحن آخرُ العارفين بأن الدهاء ليس ببعيد عن اليأس.

ومن جديد يولد جيل غاية في الجدة
يتعامل بجدية مع ذلك الذي اعتبرناه مضحكا.

5

فلتكن معاني كلماتك غير ما تعنيه حرفيا
ولكنْ عَبِّرْ ما يعنيه استخدامها ضد من يستخدمونها.

فمن الكلمات ذاتِ المعنى المزدوج اصنع سلاحًا لك،
أدخل الكلمات الواضحة في ظلمة المعاجم.

لا تحكم على أية كلمات، إلا بعد أن يقوم الموظفون
بوضع اسم قائلِ هذه الكلمات في الملف.
فصوت المشاعر أفضل من صوت العقل،
حيث لا يقدّر المفتقدون للمشاعر تغيير التاريخ.

6

لا تحب أي بلد: فالبلدان من السهل أن تـمّحي.
لا تحب أية مدينة: فالمدن من السهل أن تستحيل أنقاضا.

لا تحتفظ بالتذكارات، لأنه من خزانتك
يصعد دخان يُسَمِّم أنفاسك.

لا تكن رحيما بالبشر: فمن السهل أن يهلكوا
أو أنهم مظلومون يستدعونك لمساعدتهم.
لا تنظر في نهر الماضي: فسطحه مغطى بالصدأ
ولتـُرِ الآخرين وجهك المختلف عن ذلك الذي توقعوه.

7

إن الذي يتكلم عن التاريخ دائما ما يكون آمنا،
فلن ينهض الموتى ليشهدوا ضده.

وإن أردت، فيمكن لك أن تدعي بأن لهم أمجادا،
فإجاباتهم ستكون الصمت دائمًا.

في قلب الليل تسبح وجوههم الخاوية.
فلتمنحْ تلك الوجوهَ ملامحَ ما تحتاجه.

هذا غرور ينبع بتسلطهم على البشر الفانـين
فلتغير الماضي واجعله ملكك، أكثر اقترابا منك.

8
فالضحك يولد من احترام الحقيقة
إنه ضحك أعداء الشر.

لقد انتهى العصر الساخر.. من الآن لن نكون
مجرد هُزْأةٍ لشيوخ المهالك غير القادرين، المستخدمين عبارات البلاط
المزيفة.

إنهم متجهمون متزمتون كأجراء يستخدمون لباقتهم في خدمة قضية
فلنسمح لأنفسنا فقط بالمديح كنوع من الهذر.

وعبر الشفاه المطبقة، والفهم المبرر
لنقتحم بحذر عصرَ النيران المتحررة

نيويورك 1946

«ميتيلبيرجايم–MITTELBERGHEIM–بلد يقع ما بين الجبال»

إهداء إلى ستانيسواف فيتسينز

ينام النبيذ في براميل شجر السنديان من الراين.
توقظني أجراس الكنيسة الصغيرة الواقعة ما بين مزارع الكروم
في «ميتيلبيرجايم». أصغي إلى ينابيع النهر الصغيرة
التي تتلألأ ما بين جذوع الأشجار في الساحة، ودقاتِ
الأحذية الخشبية التي تسمع من الشارع. والتبغ الجاف
تحت الإفريز والمحاريث والعجلات الخشبية
وسفوح الجبال والخريف، كل ذلك معي.

ما تزال عيناي مغلقتين.. لا تستعجلني
أنت، بالنار، بالقوة، فالوقت ما يزال مبكّرًا.
لقد عشتُ سنواتٍ طوالا ومثلَ ما يحدث في الحلم
شعرتُ بأنني أصل إلى مدى الحدود المتحركة
الواقعة خلف الألوان والصوت الذي يأتي إلينا
مرتبطا بأشياء هذه الأرض.
لا ترغمني على فتح شفاهي بالقوة،
فلتسمح لي بأن أثق، أؤمنُ بأنني سأبلغُ غايتي،

دعني أتوقف عند «ميتيلبيرجايم».
أعرف، ما ينبغي عليّ فعله. فحولي يوجد
الخريف، والعربات الخشبية، ودخان
التبغ تحت الإفريز. هنا وفي كل مكان
تكون أرضي، وأينما تكون سأعود إليها
وأينما أستدير أسمع لغةً
أغنيـة طفل، حديث عشاق.
إنني أكثر سعادة من الآخرين، إنني أستقبل
النظرة، الضحك، النجمة، الحرير المتغضن
فوق الركبة. وأنظر إلى ذلك كله بجلال،
عليّ أن أذهب إلى الجبال، عبر وهج اليوم الناعم
بين المياه، والمدن والطرقات والعادات.

النار والقوة، أنت الذي تمسك بي
في داخل الأكف التي تتغضن
إنها مثل الوهاد الهائلة، الممشطة
بواسطة رياح الجنوب. أنت الذي تمنحنا يقينا
ساعة الخشية، في أسبوع الشك،
فالوقت ما يزال مبكرا، فلتدع النبيذ يتعتق،
ولينمِ الرحالة في «ميتيلبيرجايم».

ميتيلبيرجايم - الإليزاس 1951

مـــن ديـــــوان :
«معاهدة شعرية»

(1957)

مدخــل

فلتصبح كلمات الوطن الأم بسيطة.
ليكون بمقدور كل إنسان أن يستمع إلى الكلمة
وأن يرى فيها شجرة تفاح، نهرا، منحنى طريق،
تماما مثل ما يُرى وميض البرق الصيفي.

ومع ذلك لا يمكن أن تكون الكلمات مجرد صور
لا أكثر. فهي تفتـننا بإيقاع قوافيها التي ورثتها
من قرون مضت، أو مجرد حلم أو لحن.
حيث يرحل العالم المجدب، الصارم، دون مقاومة.

غالبا ما يُسْـأَلُ اليوم ما الذي يعنيه
هذا الخجل، عندما يُـقْـرأ كتاب الشعر،
كما لو كانت طبيعته سيئة من داخله
عندما يتوجه الكاتب نحو هدفه المبهم،
لافظًا الأفكار من ناحية، مخادعًا الأفكار من ناحية أخرى.

فمن توابل الهزل، والتهريج، واللمز،
يصبح بمقدور شعره أن يروق الناس.

عندئذ تُـقـدَّرُ قيمة هذا الشعر وتميزه.
ولكن هذه المعارك، حيث الرهان على الحياة نفسها
تحدث في الرواية.. لم يكن الأمر دوما على هذا النحو.

وما نأسف له أنّ ما بقيَ غير معترف به.
فالروايات والمقالات تفيد، لكنها لا تتواصل.
لأن بيت شعر واحد أكثر وزنا
من ثقل عدد من الصفحات النثرية المحكمة الصنعة.

من «روح التاريخ»

في الأقلام الكثيفة المغموسة في المحابر
حيث الضوء اليومي ما يزال يرتعش عند شجرة الزيزفون.
في الكتب القديمة الضخمة حيث كانت تحكم باللوائح ذاتها
وقد انبثقت من العقيدة، من كون الجمال مرئيا
إنه مرآة صغيرة لوجود الجمال.

حينئذ هرب الأحياء عبر الحقول
من أنفسهم، شاهدين، على أن قرنا من الزمان يمر
قبل أن يعودوا من حيث جاؤوا. فأمامهم الرمال
المتحركة، التي من فوقها تستحيل الشجرة
إلى لا شيء، إلى شجرة هي النقيض، حيث لا تـتفق
أية حدود شكلية مع الشكل نفسه
وفي قرقعات رعدية يتفتت البيت الذهبي، وكلمتا «يكون»،
و«يصبح» هما اللتان تمتلكان السلطة منذ هذه اللحظة.

فكل منها يحمل ثقلا إلى نهايات أيامها:
تلك بأن يموت الإنسان بلا هدف
إنه لم يُرِدْ، بل وأصابه الشك، لأنه لم يرد أن يموت.

أما هو، المنتظر، والذي كان يُـتوقع وجوده منذ زمن بعيد،
فقد ارتفعت من حوله أدخنة آلاف المباخر.
وفي لزوجة موحلة قذرة، زحفت ببطء نحو أقدامه يرقات صغيرة.

«يا ملك القرن، والحركة الاستثنائية،
أنت الذي تملأ لهف المحيط
صخبا بلا صوت، أنت الذي تستوطن
في الدماء المتخثِّرة لقرش مفتت من قبل أسماك القرش الأخرى،
في صفير شبيه بطائر حاضر، وشبيه بسمكة،
في صخب البحر، وفي غمغمة الصخور المعدنية
عندما يموج الأرخبيل ويرتفع».

«عندما ترتج أمواجك المتكسرة، عندئذ تحمل كل ما تملك،
اللآلئ وليس العيون، العظام التي خلع
الملح منها الأكاليل والأردية المطرزة.
آهٍ، أنت دون بداية، آهٍ، إنك دوما ما بين
الشكل والشكل، بين جدول المياه، والشرارة،
والأطروحة المضادة التي تنضج فتصبح أطروحة.
هكذا نحن نتساوى اليوم بالآلهة
فيك ندرك، بأننا غير موجودين».

«أنت، حيث تتلاقى الأسباب والنتائج
ومن الأمواج العميقة تنتشلـنا
في طرفة عين من أعماق البحر اللانهائية.
كي يكون بمقدورنا اعتلاء قمتها
حيث تصبح يدك أداة متسلطة.
احمنا، لا تعاقبنا، فخطيئتنا عظيمة.
لقد نسينا ماهية قانونك.
أنقذنا من الجهل، واقبل وفاءنا».

بِري - كُونتي - روبيرت، 1956

ملك الرماد
وقصائد شعرية أخرى

(1962)

الملك «بوبيـــل»

(«بوبـيـل» هي أسطورة من التراث البولندي تعود إلى ما قبل التاريخ، تشير إلى الملك الأسطوري «بوبيـل»، الذي قد أكلته الفئران في جزيرته الواقعة بمنتصف بحيرة كبيرة).

من المؤكد أنه لم تكن هذه جريمة مثل جريمتنا.
كان المعنيُّ به مركبًا مجوفًا من جذع شجرة زيزفون
وجلود كلاب الماء. لقد تولّى مملكة المستنقع
حيث أصداء الأيائل تسمع من بين القمر المغطى ببخار الصقيع المتجمد
حيث تتجول الفهود بين فروع أشجار البلوط الجافة.

فأوتاد الحصن الخشبية والبرج
قد شيدتها زعانف آلهة الليل
حيث شوهد من وراء المياه صياد متخفٌ
لا يجرؤ أن يرمي بسهمه نحو فروع الأشجار
إلى أن عاد واحد منهم بأنباء. حيث تدفع الرياح
المتقلبة، نحو أعشاب البحيرة، أضخم مركبة كانت تطاردها، وهي فارغة
من داخلها.

لقد أكلت الفئران «بوبييل».. أما التاج الماسي
فقد جاء دوره في ما بعد. أما بالنسبة له، ذلك الذي اختفى إلى الأبد،
ذلك الذي كان يملك في خزانته ثلاث عملات قوطية
وعصًا برونزية، ذلك، الذي رحل،
حيث لا يعرف، مع الأطفال، والنساء،
بعد أن منحه «جاليليو» الجزر والبحار
و«نيوتن» و«آينشتاين» فإنه يستطيع عبر قرون طوال
وهو على عرشه أن يحكم بنعومة، بالرمح والسكين.

مونتجيرون 1958

طـائر العقعق(6)

إنه هو نفسه وليس هو بالضبط، سرت عبر غابة البلوط
أدْهَـشُ من أن شيطانة شعري
لم يكن بمقدورها أن تقلل من دهشتي.
يصرخ طائر العقعق، قلت: أنت أيها العقعق
ما أنت؟ إنني لم أستطع على الإطلاق أن أكتسب
قلب عقعق. منقار طائرٍ قادر على الطيران
يعيد الكرَّة للطيران من جديد عندما يهبط.
لن أصل إليه أبدا، ولذلك فأنا لن أتعرف عليه.
فإذا كان العقعق غير موجود
فإن طبيعتي أيضا لا توجد أيضا.
من كان يمكن أن يخمن أنني بعد قرون قادمة ،
سوف أجد حلا لجدلية العالمية

مونتجيروم 1958

(*) العقعق : طائر من الفصيلة الغرابية ، يجمع بـين الـسواد والبيـاض ، وفي سـواده بريـق أزرق أخضر ، وله ذيل طويل ، ويغتذي بأي شيء ، وينتشر هذا الطائر الجميل في مناطق كثيرة مـن آسيا وأوروبا - المترجمان .

تعاليـم

منذ تلك اللحظة، في البيت ذي الأفاريز الواطئة
عندما قطع طبيب المدينة الحبل السري
وامتلأت الحدائق بالصبار والعترة؛
فإن العش امتلأ بقطرات بقايا الكمثرى المتعفنة البيضاء،
كنت عندئذ في أيدي البشر. كان يمكن أن يقتلوني خنقا
صرختي الأولى، كتمتها كف ضخمة
عنق مستسلمة، توقظ مشاعرهم.
عرفت منهم أسماء الطيور والفواكه،
سكنت في بلادهم، التي لم تكن عقيما للغاية،
لم تكن قاحلة للغاية؛ بها مروج؛ وحقول تحصد؛
وماء في قاع قوارب موثقة بالدغل خلف ورش النجارة.

لقد وجدت تعاليمهم، في الحقيقة، حدودًا
في ذاتي نفسها ، وهي تنادي ظلمتي التي كانت،
لم تكن وفية لي أو إلى ما أرمي إليه.
أما الآخرون؛ أولئك الذين لم أعثر عليهم، أو أعرف فقط أسماءهم الأولى،
انضموا إليّ، أما أنا
فقد أصغيت داخل نفسي فزعًا إلى صرير الغرفات

والتي لا ينظر إليها عبر ثقب المفتاح.
لا يعني بالنسبة إليّ شيئا كل من «كاجيميج» أو «هرهورى»
أو «إميليا» أو «مارجريت».
لكنَّ كل نقيصة من نقائصهم وكل خطيئة من خطاياهم
كان عليّ أن أكررها بنفسي. وهذا ما أشعرني بالخزي.
للدرجة التي جعلتني معدا لأن أصرخ: أنتم أيها المسئولون،
بسببكم ليس بمقدوري أن أكون ذلك الذي أريد أن أكونه، مجرد أن أكون
كما أنا.
لقد سقطت الشمس في كتاب عن الخطيئة الأولى.
وأحيانا، عندما سمع دوي في العشب بعد الظهر،
تخيلت أن اثنين منهم، فضلا عن خطيئتي،
يدهسان الدبور عند شجرة تفاح الفردوس.

مونتجيروم 1957

لا أكثر

ينبغي عليّ القول إنه في يوم غيرت
رأيي في الشعر وكيف يأتي،
أصبحت أعد نفسي اليوم واحدا من العديد
من تجار ومحترفي بلاط اليابان القديمة
الذين يضعون الشعر حول أزهار الكرز،
والأقحوان، والقمر في بهائه المكتمل.

لو كان بمقدوري أن أصف
بغايا ڤينيسيا، وهن في ألواح المسرح يضايقن الطاووس بعصيهم
ومن نسيج القماش المقصب، المرصع حزامه باللآلئ
تنفر صدورهن الثقيلة الضاربة في الاحمرار
حيث أزرار الفساتين فوق بطونهن المنتفخة الموسومة بالعلامة،
مثلما يُرى الربان وفي فمه غليونه
عندما ترسو سفينته وبحارته هذا الصباح في البر ، وهي محملة بالذهب؛
لو كان بمقدوري أيضا أن أجد لعظامهم البائسة
مكانا في المقبرة، حيث البوابة مغطاة بشحم البحر،
وأن أنهي بكلمة مؤثرة، أكثر تأثيرا من مشهد آخر مشط قد استعملوه

قد تعفن بمفرده في القبر منتظرا ضوء النهار.
عندئذ كان عليّ ألّا أرتاب. وخارجا عن حالة المعارضة
ما الذي يمكن لنا حصده؟ لا شيء أكثر من الجمال.
عندئذ تكفينا على أكثر تقدير أزهار الكرز
والأقحوان، والقمر في اكتماله.

مونتجيرون 1957

قصيدة غنائية لطائر

أنت أيها الـمُؤَلَّف الـمُرَكَّب.
أنت أيها اللا وعي
الممسك بعضه بالبعض في كف مكسو بالريش.
مستندًا على أرجل سحلية رمادية،
بقفازات موجهة عن طريق العقل الإلكتروني
القابضة على أيٍّ شيء تلمسه

أنت يا غير المتجانس
أكبر حجما من الجرف، من زنبق الوادي في العشب
الضارب في الحمرة، من دوران الشمس ذي اللون البنفسجي المائل
للاخضرار،
أكثر من الليل الفسيح الناشئ من ضوء نملة واحدة
وضوء المجرة بجسدها
وفي واقع الأمر تتساوى كل بالأخرى.

خارج الرغبة، ودون رغبة
تتأرجح فوق فرع شجرة من بين هواء البحيرات
حيث تنغمر القصور، أبراج أوراق،

ممرات للهبوط من بين ظلال قيثارة.
تتمايل وفقا للنداء، أما أنا فإنني أتدارس اللحظة الراهنة
عندما تفقد القدم سندها، ويمتد الذراع.
تتمايل الأمكنة حيث كنتَ، أنت الواقف في خط بلّوري
يرتفع دفؤك ودقات قلبك.

أنت يا غير المتشابه للاشيء، أنت الحيادي
تجاه صوت «بيا، بتيروم، فوجلز، بِـرْد».
خارج الاسم، بلا اسم،
حركة معصومة من الخطأ داخل كهرمان هائل.
كي أتفهم عَبْرَ ضربات أجنحتك ما يفصلني
عن الأشياء التي أمنحها كل يوم أسماء
وعن سمات شخصيتي العمودية
على الرغم من امتدادها إلى الذروة.
لكن منقارك شبه المفتوح دائما ما يكون معي.

ما بداخله متجسد ومفطور على الحب
لدرجة أن الرعب يجعل الشعر يقف في الرأس
من قرابة النسب ونشوتك.
عندئذ أنتظر بعد ظهر يوم من الأيام في مواجهة الردهة المواجهة،
أرى الشفاه بالقرب من الأسود البرونزية
وألمس الذراع العارية
مع عطر مياه الربيع والأجراس.

مونتجيروم 1959

السعادة

كم هو دافئ هذا الضوء! من الخليج الوردي
كشجرة عيد الميلاد، حيث أستريح في الرقاد
في غبش الإصباح. حيث تصب من المنبع
في مياه البحر، عند الجسر الصغير؛ كصوت الفلوت.
فيما بعد، تحت قوس الخرائب القديمة
تُرى شخصيات صغيرة سائرة،
لدى واحدة منها منديل أحمر. ثمة أشجار،
ومتاريس وجبال في ساعات مبكرة.

واشنطون دي.سي. 1948

ما الذي كان كبيرا

إلى إسكندر و«أُولا فَات»

الذي كان كبيرا، بدا لي صغيرا.
فقد شحبت المملكة كجليد مغطى بالبرونز.

الذي يمكن أن يكون صادمًا، لم يعد صادمًا.
فالأرض السماوية تستدير وتتدحرج وتضيء،

وفوق الضفة، ينبسط النهر من بين العشب
مثلما كان منذ سنوات طوال، طوال، أدفع بقواربي المصنوعة من لحاء
الشجر.

مونتجيرون 1959.

هيراقـليطس[7]

أَشْـفَــقَ عليهم، على الرّغم من أنه في حاجة للشفقة.
لأن هذا خارج عن معاني أية لغة.
حتّى التركيب المنطقي مظلم، وفقا لما يتهمونه به،
فالكلمات موضوعة هكذا إلى الدرجة التي تصبح فيها ثلاثية المعنى،
لا تتضمن شيئا.. هذه الأصابع في النعال،
صدر الفتاة الذي يصبح ضئيلا في يد أرتيميس،
حبات العرق.. الزيت الملقى على وجه البحار
تشترك جميعها في «العموميات»، مع وجودها المنفصل.
تصبح ملكنا جميعها في الحلم شديدة الوفاء لنا،
من عشـق رائحة الجسد الفاني،
وصولا إلى مركز الدفء الكامن تحت خصلات شعور العامة،
ومع الأرجل الراقدة تحت الذقن، نحن نعرف، أن هذا هو كل شيء
ونشعر بالشوق المجاني لها جميعها، لتلك الحيوانية.
فالوجود المتـفرد يحـرمنا الضوء
(ويمكن قراءة هذه الجملة بشكل معكوس).

(7) «هيراقليطس من إفيز» (540 – 480) قبل الميلاد. فيلسوف إغريقي، يمثل الفلـسفة الطبيعيـة اليونيونية (من مدينة يونيا الإغريقية) – كان صاحب نظريـة «الواقـع»، التـي تعـد تواصـلا واستمرارا لنظرية المادية الحية – المترجمان.

«لا أحد كان يشعر مثله بالكبرياء واحتقار الآخرين».
قام بتعذيب نفسه، إذ لم يكن بمقدوره أن يغفر لنفسه
إن لحظة الوعي لم تكن قادرة على تغييـرنا إطلاقا.
استحالت الشفقة غضبًا. فهـرب من «إفسوس- Ephesus».
لم يكن يريد أن يرى الوجوه الإنسانية، فسكن في الجبال.
أكل العشب والأوراق، كما في بيان «لايرتيوس».
وعلى سفح ساحل آسيا وضع البحر أمواجه
(حيث لا تـُرَى أمواجٌ مرتـفعة، ولكن يُـرَى البحـرُ فقط)،
وهناك، هل كان الصدى يردد أجراس وعاء القربان المقدس،
وهل يبحر رداء «أورلاندو فوريوزو» الذهبي،
وهل فم السمكة يمسح السائل المصبوغ من شفاه
المرأة العاملة، في تلغراف السُّفنِ القابعة تحت أعماق البحار؟

مونتجيرون - 1960

بورتريه يوناني

لي ذقن كثيفة، والعينان مائلتان
والجفنان، عند أولئك الذين يعرفون ثمن
الأشياء المرئية. أصمتُ عندما تحتم الضـرورة
كالرجال الموقرين، الذين يعرفون، أن القلوب الإنسانية
تتسع في جنباتها لأكثر من الكلام.
فوطـن العائلة، المنزل، والأماكن العامة قد لفظتـُها جميعها
لا لكي أبحث عن مكسب أو مغامرات.
لست أجنبيا يركب السفن العابرة.
فالوجه عادي، كوجوه جامع الضرائب،
والتاجر والجندي. لا أختلف عَمَّن حولي من أفراد الجماعة.
ولا أمتـنع عن منح الاحترام الواجب تجاه
مقدسات هذا المكان. وآكل كما يأكل الآخرون.
هذا يكفي للحديث عن نفسي.

واشنطون دي . سي . 1948

الـمُـعَـلـم

يقولون إن موسيقايَ ملائكية.
عندما يستمع الأمير إليها
فإن وجهه، المستـتر، يصبح وديعا
يقتسم عندئذ سلطته مع الشحاذ،
أما مروحة سيدة القصر فتـتوقف عن الحركة،
ولا يغري لمس الحرير الأفكار غير المحتشمة أو الرقيقة
وتحت ركبتيها المطويتين، تتخفي وكأنها تقع في هوة بعيدة، تفقد فيها
الحس.

استمع كل واحد في الكاتدرائية إلى معزوفتي «مس سولومنيـس».
لقد تحوّلت ترانيم أصوات فتيات جوقة القديسة «سيسيلي»
إلى أداة موسيقية تسمـو
على ما نحن فيه. أنا أعرف كيف أحرر
الرجال والنساء من ذكريات حياتهم الطويلة،
إلى الدرجة التي يقفـون فيها بين دخان أبخرة صحن الكنيسة
مستديرين بظهورهم إلى فجر طفولتهم
عندما كانت قطرة الندى وصرخة الجبال
حقيقة العالم وصدقه.

كان يمكن أن أكون بستانيا
مستندا على العصا في غروب الشمس
بمقدوره أن يزرع شجرة ضخمة.

أنا لم أضيع آمال سنوات الشباب المنكسرة.
أقيس ما أُنـجِزَ. هناك عاليا حيث يطير عصفور الجنة/ السنونو
يمر، ثم يعود من جديد إلى طيرانه المائل.
سوف تُـسْمَعُ خُـطى في البئر، و خُـطى الآخرين من البشر
المحراث يحرث الغابة حتى يمحوها. أما الفلوت والكمان
فسوف يعزفان عندما آمرهما.

لم يعرف أحد كيف دفعتُ الثمن. عبثا. إنهم يصدقون،
إنني أحصل على كل شيء بالمجان. وينعكس علينا بصيص النور.
إنهم يريدون النور، فهذا يساعدهم على الشعور بالدهشة.
إنهم يصدقون أغاني الدهماء. مرة تحت ظلال شجرة الحَوْرِ
ظهر لنا شيطان، أسود كالمستنقع،
وانهمرت نقطتا دم من وخزة لسعة بعوضة،
ودَمَغَ في الشمع خاتمه «الأَمِتِيست» من الحجر الكريم الأرجواني.

تتردد أصوات الكرة السماوية والكوكب السيار بشكل لا نهائي
لكن الذاكرة لا تقهر في التو
في قلب الليل تعود ثانية. من الذي سيحمل المشاعل،
وذلك الذي كان يحدث في الماضي البعيد غدا سيقع في وضوح النهار

عَبثًا نستمسك بكل ساعة
من الحياة الطويلة. فما هو ذلك العمل الجميل
الذي نفتدي لقاءه دقات قلب
مخلوق حي وكل من يكفيه
من الأعمال الطيبة التي تستمر إلى الأبد؟

عندما يغطّى الشال المزركش الشعر الأبيض العجوز
والأصابعُ تنغمس في المياه المقدسة
عندئذ يبدو لي؛ أنه يمكن أن تكون واحدة منهم.. أخشاب الموسكي نفسها،
الحفيف نفسه ، والموجة الخفيفة المتلألئة فوق سطح البحيرة.

ومع ذلك فإنني أحب قدري.
وإذا عاد بي الزمن إلى الوراء كي أختار بأمانة
فإنني لا أستطيع أن أخمن، فخط حظي لا يقول شيئا.
فهل يريد القدر أن نضيع أرواحنا،
لأنه يملك مجرد هبة غير مدنسة؟

هذه لغة ملائكية! وقبل أن تطلب العفو
انظر، حتّى لا تخدع نفسك والآخرين.
فما يأتي بسبب ما ارتكبه من الشرور – هو الحقيقة الوحيدة.

مونتجيروم 1959

من قصيدة «عبر أراضينا»

لو أنني سُئلتُ : ما العالم بالنسبة لي
لأخذت «الهمستير (Hamster) أو القنفذ أو الخُلْد،
ووضعت واحدا منها فوق مقعد مسرحي في ليلة من الليالي
وألصقت أذني بالقرب من زلومته الرطبة
كي أستمع إلى ما يقوله حول مصابيح الإنارة،
حول أصوات الموسيقى وحركات رقص الباليه.

بيركلي 1961

مختارات من ديوان
«جوتشو المسحور» ـ المسخ

(1965)

«جوتشو المسحور»

«المسافة بين الكينونة والعدم لا نهائية»
(اللّهو بريء ومفيد) 1776

1
حقل مائل وترومبيت.
غبش الإصباح وطائر يحلق منخفضًا ومياه تتلألأ
والشراع قد نُصِبَ فجرًا في المضيق.
دخلتُ قلب السَّوْسن عبر جسر القماش المقصّب.
الحياة قد وُهِبَتْ بشكل لا يدرك.
من الطفولة إلى نشوة الهَـرَم عند شروق الشمس.

2
هي كثيرة، لحياة واحدة، تلك الإصباحات.
بعينيَّ المغلقـتين، كنت كبيرا وصغيرا،
ارتديت الريش والحرير والكدر والسلاح
وفستانا نسائيا، ولعقت الوردة.
رفرفتُ عند كل زهرة منذ بداية الخلق،
بحثتُ في أبواب القاعات المغلقة عن قاعات القندس والخُلْد.

من المستحيل ألّا تكون كل هذه الأصوات غير المدونة
ما بين أنبوبة معجون الأسنان والموسى الصدئ،
عند مائدتي في «فيلنا» و«وارسو» و«بريي» و«مونتجيرون» و«كاليفورنيا».
من المستحيل أن أكون قد متُّ قبل أن أبلغ الغاية.

3

من طعم أشجار الكرز البري ورائحتها عند الأنهار
يأتي الوعي بالأدغال ذائعة الصيت بثمرات الكركديه الكثيفة
لتجمع عينة من الأرض داخل علبة خضراء.
وتحتها قشور لحاء أحمر دائمة الاخضرار
حيث طيور الزرياب مختلفة عن تلك الموجودة خلف مضيق «بيرينج»،
حيث تفتح أجنحتها من اللون النِّـيليّ.
منفردة، بلا أصدقاء وأعداء،
حيث تحتضن الغاباتُ المنحدرةُ عشّ النسر،
غير المدرك للأفعى ذات الشارة الصفراء،
غير القادر على إدراك قواعد الأفعى والشجرة.

4

نجوم «فيليمون»، ونجوم «باخوس»
تحت بيوتها المتبتلة بجذور أشجار السنديان.
والسيد الرحالة المستلقي فوق سرير من القطع الجلدية،
الصُّلْـبة، واضعًا قبضته فوق مسند الرأس.

حيث يلتقي صندله بزلومة خنزيرية
متعجِّلًا الوصول قُدُمًا بصعوبة عبر قدمه الملتمعة، نحو الهضبة.

أصغي أيضًا إلى أصوات البيانو
أسرق عبر الظلمة الرطبة داخل الغابة المتلبدة
بعض الزجاجات الطينية من الفودكا الهولندية التي تقبع فيها.
حيث تبدو سيدة بعقصة شعرها فوق أذنها.
أما أنا فكنت أزحف على أربع، عندما نبتت لحيتي
وكوعي الهندي قد تعفن من الأمطار والثلوج.
كانت تعزف وهي جالسة في الوقت نفسه فوق المبولة،
وعندما تهبط من فوق الأرجوحة ترفع فستانها
ومن خلفي، أو من خلف ابن عمها، كانت تفعل أشياء غير محتشمة.
وبعد قليل تبدو في ضاحية المدينة وقد شاب شعرها.
وترحل غير مترددة حيث تسير جميع السيدات هناك

فلتقم الجزيرة هناك - ومن الجزيرة يلوح المحيط.
وردية صخورُهُ لها مسحة بنفسجية اللون.
أما بذورها فتـنبت فوق الهضاب وفوق الكستـناء وخشب الأرز،
يتمايل النبع من نباتات السرخس بجوار المرفأ.
وفوق الصخور المسطحة يعلو «التنوب» الأخضر في جوف المياه
تضطجع الأرواح القريبة من الغواصين ومعهم أنابيب الهواء.

الابنة الوحيدة الساحرة «ميراندا»،
تركب حمارا وتسير نحو الكهف
حيث الطريق مغطى بالأوراق المتناثرة بصوت صريرها.
وحيث ترى ثلاثي القوائم، والغلاية، والأغصان مِلْءَ الذراعين.
فلتختفي يا جزيرة. أو بصيغة أقوى: يا جزيرة ابتعدي!

5
أحببته، لأنه لم يبحث عن موضوع مثالي.
عندما يستمع إليهم وهم يقولون: «الموضوع الذي ليس له وجود
هو فقط المثاليّ النقيّ»، يحمر وجهه ويدير رأسه إلى الوراء.

في كل جيب كان يحمل أقلامًا من الرصاص، وقصاصات ورقية محشوة
بقطع خبزٍ قد جفت، وحوادث مفاجئة.

عاما بعد عام أحاط بشجرة سميكة
واضعا كفه فوق عينه ومغمغما من الدهشة.
لَكمْ شعر بالغيرة من أولئك الذين يرسمون الشجرة في خط واحد!
ولكن خُيِّل له أن هذا شيءٌ غير محتشم بالمعنى الاستعاري.

ترك الرموز وهو يشعر بالكبرياء، منشغلا بقضيته الذاتية.
وبمجرد النظر أراد أن يصرف الأسماء عن الأشياء نفسها.

عندما كان عجوزا، كان يشد لحيته المصفرة من التبغ:
«أفضل أن أخسر هكذا، من أن أكسب مثلهم».

ومثل «بيتر بريجيل» سقط الأب فجأة
محاولا النظر إلى الخلف باسطا قدميه جانبا.

وبقيت الشجرة واقفة هناك بعيدة المنال.
حقيقية وكاملة حتّى أعمق جذورها.

6

وقد لاموه لأنه تزوج من امرأة ويحيا مع أخرى.
فالزمن - كما يقول - عبث، والطلاق.. إلخ.. إلخ.
وفي اللحظة التي ينهض فيها الإنسان، يحرك الريشة عدة مرات،
وفجأة يأتي المساء.

7

جوتشو، ذلك الصبيّ غير المهذب، تغير وأصبح ذبابة.
اغتسل وفقا لطقس ذبابي بحجر من السكر
وجرى عدوًا بشكل عمودي نحو كهوف الجبن المثقـوبة.
طار عبر النافذة إلى الحديقة البراقة.
وهناك، حيث العبّاراتُ من أوراق الشجر التي لا تقهر
تحمل قطرات المياه المنفعلة من فرط تزايد ألوان قوس قُزح
والبساتين المغطاة بالطحالب والمشعة نورا قد نبتت في الجبال
المكسوة بلحاء الشجر،
وقد انتـثر الغبار القاسي من الأعمدة المنثنية، داخل الأزهار ذات
اللون القرمزي.

ومع أن هذا لم يستمر طويلا إلا قبيل المساء حتّى العشاء،
وفيما بعد، عندما كان بنطلونه مكويا وشاربه مهذبا،
ظن، وهو ممسك بكأس من الخمر، أنه يقوم بخداعهم،
لأنه لا ينبغي على الذبابة التحدث عن الأمة والإنتاج الرفيع المستوى.

أما المرأة الواقفة في الطرف الآخر، فكانت قمة بركانية
حيث اللهب الناريّ، وفوهات البركان وتجاويف الحمم
وحركة الأرض تميل نحو جذوع أخشاب الصنوبر.

8

كان ثمة مائدة بيني وبينها ، فوقها كوب.
وحين لمس جلد مرفقها المجفف السطح المشع
انعكست فيه ملامح الظلال تحت إبطها.
وتكاثفت قطرات العرق عند شفتيها المتموجتين.
أما الفضاء الذي يقع بيني وبينها فقد اقتسمه اللانهائي.
فالسهام المخملية المتأرجحة،
لم ينهكها عام أو مائة عام من الترحال.
لو أنني قلبت المائدة، فما الذي كان يمكننا القيام بفعله.
هذا الحدث، واللاحدث، دائمًا ما كان محتملًا وجوده
كالدخول المحتمل داخل الخشب وفي الماء وفي المعادن.
لكنها هي أيضًا نظرت إليّ مثلما تنظر إلى خاتم «زحل»
وعرفت أنني أعرف أنه ليس بمقدوري الوصول إليه.
هذا ما أقرته الإنسانية والضعف البشري.

بيركلي 1962

الأنهار تتضاءل

الأنهار تتضاءل . تتضاءل المدن. والحدائق الغناء
ترينا جميعها ذلك الذي لم نره من قبل: الأوراق الخضراء الكسيحة والغبار.
عندما سبحت للمرة الأولى في النهير؛ ظننت أنه هائل،
لكنني لو وقفت اليوم عند ضفافه، لوجدته مجرد وعاء ماء للحلاقة
ما بين أحجار نهر جليدي وأشجار العرعر.
كانت الغابة بالقرب من قرية «هالينا» بالنسبة لي بدائية،
مع رائحة آخر دب قتل منذ زمن غير بعيد،
على الرغم من أن أشجار الصنوبر كانت تنير الحقول.
ما كان متفردًا يصبح غدًا تنويعًا لنموذج عام.
حتّى الوعيُ في حلمي قد غيَّـرَ الألوان الأصلية.
أما ملامح وجهي فقد ذابت مثل عروس شمعية ساحت في النيران.
من ذا الذي يرضيه أن يمتلك وجه إنسان في المرآة فقط؟

بيركلي 1963

إنهم يضعون هناك الشاشات

إنهم يضعون هناك الشاشات، وحياتنا
ستعرض منذ البداية حتّى النهاية
كل ما روضنا أنفسنا على أن ننساه - كما كنا نعتقد - إلى الأبد،
أزياء العصر، التي كانت مثيرة للضحك أو جديرة بالشفقة
وكان بمقدورنا ألّا نرتديها نحن، لو أننا لم نعرف شيئا أفضل.
«أرماجيدّون» من الرجال والنساء. لا فائدة من الصراخ: إنني أحببتهم،
بدا لي كل واحد منهم وكأنه طفل، جشع، متعطش إلى الدلال،
لقد أحببت الشطآن وحمامات السباحة، والمستشفيات
لأن عظامهم من عظمي، وأجسادهم من جسدي.
أشفقت عليهم وعلى نفسي، ولكن هذا لم يحمني.
لقد انتهت الكلمة والفكر، وانتهى تبادل الكؤوس،
وتجنب النظرات، الأصابع التي تقوم بفك أزرار البلوزة، والتهريج،
الإيماءات المحتالة وتأمل السحب،
القتل المريح: هذا فقط.
وما هذا الذي الذي يعنيه، إنهم يسيرون وهم يدقون الأجراس
وعند رسغ أقدامهم، يقتحمون النيران ببطء
تلك التي أخذتهم كما أخذتني فلتعضَّ الأصابع - إن كانت لك أصابع
وانظر مرة أخرى إلى ذاك الذي كان، منذ البداية وإلى النهاية.

بيركلي 1964

وتشرق هذه المدينة

تشرق هذه المدينة التي عدتُ إليها بعد سنوات
وتسربت فيها حياة كل من Ruteboeuf أو Villon.
فيها ولد السلف من قبل ورقصوا رقصاتهم.
ونظرت النساء في مراياهن المصنوعة التي اكتست بمعدن جديد.
من أجل أيّ شيء كل هذا، إذا كنت غير قادر على الكلام.
صمدت المدينة من ورائي ثقيلة كالأرض فوق محورها.
ورقد رمادي في وعاء معدني،
كالعملة المعدنية المختفية تحت مائدة الحانة.

وتشرق هذه المدينة بعد أن عدتُ إليها بعد سنوات
عدت إلى بيتي في الدولاب الزجاجي بالمتحف الجرانيتي
بالقرب من الكحل الذي تتكحل به رموش العين، والقوارير المرمرية،
وأحزمة طمث الأميرات المصريات.
كانت هناك فقط شمس مسبوكة أو مصهورة من صفائح ذهبية،
وصريرُ خطوات وئيدة فوق أرضية داكنة من الباركيه.

وتشرق المدينة التي عدتُ إليها بعد سنوات،
بوجه مغطّى بسترة، مع أنه منذ زمن بعيد: لم يعش أحد

على حساب أولئك الذين استطاعوا أن يتذكروا تلك الديون التي لم تدفع،
وعاري غير الأبدي، وتلك المباذل التي تغاضوا عنها.
وتشرق هذه المدينة التي عدتُ إليها بعد سنوات.

باريس - بيركلي 1963

هذه الممرات

هذه الممرات التي أسير فوقها عبر وهج المشاعل
مصغيًا للمياه التي تقطر فوق ألواح البلاط المنكسرة.
في أعماق، أعماق الجبل. في محراب تماثيل أصدقائي النصفية،
عيونهم المرمرية، أضواء وظلال فقط
يضعونها فوق الوجوه المتجعدة من لذع الحياة.
أجل، تسير قدمًا، داخل متاهات ممراتها المظلمة،
دون تلك الأقزام النزقة، وصدى خطواتي فقط،
حتّى تنطفيء المشاعل عند المنعطف المجهول
هناك حيث كان قدري المحتوم أن أتشكَّل في حجر.
ولكن عند المدخل الذي أغلقه انهيار الجليد؛ سوف ينسى في الحال،
في غابة أشجار عيد الميلاد والتي ينساب منها جدول نهير،
حيث تولد الأيائل الرقط وينتعش الهواء
وحيث تتجلّى الأوراق الرائعة اللولبية المركبة من عيون الآخرين وعينيّ.
يعاد اكتشاف بهجة كل صباح من جديد،
ومذاق كلِّ تفاحة مقطوفة من أشجار البستان الشاهقة.
لذلك بمقدوري أن أطمئن لما أحبه.
فالأرض تحمل القنوات والكتل الحرارية والشموع النحاسية.
وعندما تأتي الكلاب في يوم من الأيام وهي تطارد الدببة البرية

فسوف أنشق مهرولا نحو صدع عميق ونحو البشر المنتمين للأجيال البعيدة
وأفك شفرات حروفنا المنزوية في الحوائط -
سوف يندهشون من أننا قد عرفنا الكثير من ذلك الذي أسعدهم
على الرغم من أن قَـصْرَنا عقيم لا طائل منه ولا يعني سوى القليل.

أوريجون - بيركلي 1964

أنـام كثيرا

أنام كثيرا، وأقرأ القديس توماس الأكويني
على اليمين يوجد خليج يبدو كالصفيح المنصهر،
ومن خلف الخليج مدينة، ومن وراء المدينة محيط،
ومن وراء المحيط محيط، يصل حتّى اليابان.
وعلى اليسار هضاب جافة من المراعي البيضاء،
ومن وراء الهضاب دلتا تُروى حيث يُـزرع الأرز،
ومن وراء الدلتا جبال وأشجار صنوبر ثـقيلة،
ومن وراء الجبال صحاري وخراف.

عندما لم أستطع الحياة دون احتساء الكحول،
كان الكحول يقود طريقي.
عندما لم أستطع الحياة دون التبغ واحتساء القهوة،
فإن التبغ والقهوة قادا طريقي.

كنت شجاعا.. كادحا.. نموذجا للفضيلة تقريبا.
لكن هذا لا يصلح لشيء.

أيها الطبيب، أشعر بالألم.
ليس مكانه هنا، كلا، وليس هنا. إنني حتّى لا أعرف.

ربما يكون هذا عددًا من الجزر والقارات،
كلماتٍ لم تُـقَلْ بعد، أسواقا شرقية، وعددًا من آلات الفلوت الخشبية،
أو شربَ الكحول أمام المرآة، بلا ملامح،
كان من المفترض أن يكون شيئا من قبيل الملاك جبريل
أو القديس جورج، هناك في شارع القديس جورج.

أيها الطبيب الشعبي، أشعر بالألم.
دائما ما آمنت بالعرَّافة والخرافات.
من الطبيعي أن النساء تملك روحا كاثوليكية واحدة
ولكننا نحن نملك روحين. عندما ترقص
في الحلم ستزور «پيوبلوس»[8] البعيدة
بل تلك الأراضي التي لم تُـزرْ بعد.
فلترتدِ، أتوسل إليك، تمائمَ من عِـقْــدٍ مصنوع من ريش الطير،
فقد حان الوقت كي تساعد واحدا من أقرانك.
لقد قرأت كتبا كثيرة ولكنني لا أصدقها.
عندما نتألم فإننا نعود إلى منحدرات أنهار بعينها،
أتذكر تلك الصلبان المنحوتة بعلامات الشمس والقمر،
والسحرة العرافين، وما قاموا به عندما جاء وباء التيفود.
فلترسلْ روحك الثانية وراء الجبال، ووراء الزمان.
فلتقل، ما الذي رأيته، وسوف أنتظر.

بيركلي 1962

(8) «پيوبلوس PUEBLOS» هي قرية صغيرة لهنود أمريكا في المكسيك - المترجمان.

ديثرامب – DYTHRAMB

هكذا رأينا العديد فوق الأرض وما تزال جبال «الملكيت»(9) عند غـروب الشمس تلقانا كعهدنا بها بالأناشيد والانحناء.

هذا الرقص الربيعي يحين أوانـه عنـدما تلتمـع تحـت المبنـى البـازلتي مـن المنحدرات، أسراب الطيور وهي تغوص في مياه الخليج الشفافة.

وثعلب البحر يلتمع بيديه الزعـنفيـتين المتمرغـتين في رغوات بالقرب من «بوينت لوبوس – Point Lobos».

وفي الضباب تتوهج زهرة «الأضاليا» الحمراء مـن قـاع الوهـدان المـشبعة بالبخار.

لم يُضَفْ شيء ولم يُخصَمْ شيء من ذلك العالم المتكامل، رابط الجأش.

لم تُـبْـقِ الذاكرة على أيِّ شيء كان من المؤكد مِلْكنا.

فاللحن من فم الهارمونيكـا، مـن زمـن بعيـد، ينبـع مـن تلـك الـسنوات الغامضة، أو تلك الهضبة التي سقطنا عليها متآلفين في قُبْـلة.

في آلة غزْل الكتـان النـائم، في فـروع أشـجار التفـاح المتـساقط، في مخـزن الحبـوب بلونهـا الكـستنائي، في الـدوائر الرماديـة البنيـة لـصدر ابنـة عمي«تونيا» الأسمر الداكن .

---

(9) «مالاخيت – Malachite» نوع من الجبال الصخرية – المترجمان.

في قعقعة البنادق الآلية المتجهة من الخنادق المختبئة فوق أرض عارية نحو دبابات العدو، تحت ستار متفتت لفجر مغطى بالسحب.
من ذا الذي يجزم قائلا: «هذه ملكي»، لقاء لاشيء، فإنه يستدعي حلمه بصعوبة لقاء لا شيء؟
من خشخشة ملابس عصر النهضة حيث رحلتْ عنا نساؤنا الموتى، واستدرن ووضعن أصابعهن فوق الشفاه.
جلس الرفقاء المدرعون من خلف رقعة الشطرنج، قابعين بجوار مقدمة خوذاتهم.
بجوار سيادة الحب، والذهب الحي في الدماء، والإبادة الأبدية لأسمائنا المفرغة من معناها.

بيركلي 1965

مختارات من ديوان :
«مدينة بلا اسم»

(1969)

عـــام

أطللت في العام المجهول، شاهدًا على أنه لا يقبل علينا شيء من بعيد، فقد روى ظمأى شروق الشمس، كالماء الذي يروي الزرع.

كان هذا عاما باهتا، ثعلبي اللون، كجذر شجرة خشبية حمراء مستأصلة أو كأوراق العنب فوق الهضاب في شهر نوفمبر.

نبضات الموسيقى تدق في سلسلة الجبال والغرفات، حيث تهرول بقوة من الجبال المظلمة روافد الأنهار المرتبكة.

ومن بين قرع طبـول «الكونجـو» اسـتقبلني جيـل يرتـدي أرديـة مطـرزة بأجراس مكسوة بها.

وكررت أغانيهم التي خرجت من حنـاجرهم المنتـشية حزنـا، وأنـا سـائر بطول البحـر، حيـث رفعـت الأمـواج المتكـسرة الأطفـال فـوق قطعهـم الخشبية، ومسحت آثار أقدامي.

وعند حدود الزمن المسكون نفسه عُـلّــمْـنا كيف نسير عـلى قـدمين، وأن ننطق العلامات المكتشفة دومًا في «كتاب الأنواع» من كتاب العهد القديم.

لقد أخبرتهم بأنه لو أنني كنت أعرف كل شيء، لأمكن لذاكرة واحـدة أن تجمع البشر لتمجيدهم.

عن الشمس، وعن النجوم، تحدثت ، وعن المقـدس والمقـدس والمقـدس، عن وجودنا تحت السماء، عن اليوم والعشاء الأخير.

بيركلي 1965

قصيدة من ديوان:
«مدينة بلا اسم»

5

الشفقة والتعاطف
من أجل أيٍّ شيء نقدرهما بشكل رفيع.

غرور الجسد والشهرة
القبلات والنجاحات،
من يهتم بذلك؟

أطباء ومحامون،
ضباط رائعو السمت،
في أرض عمقها ستة أقدام.

معاطف الفَـرو والأهداب والخواتم،
الركوع تحت الشمس من أجل الصلاة.
والاسترخاء.
فلتصبحي على خير أيتها الأثدية الأحادية؟ الثنائية؟
فلتحلمي أحلاما أبدية
خالية من العناكب.

7

عندما تخلصت من الشكاية
ومن المجد، الذي سعيت إليه،
- ذلك الذي لم أكـنْه -

حملتني الحيوانات الخرافية والتّـنانين
إلى البلدان، والجبال، والخلجان،
والمصائر أو الأحكام.

أجل أجل، أردت «أن أكون» نفسي،
إلى المرايا بكيت،
وتعلمت من حماقتي.

من أظافري، من أغشيتي المخاطية،
والأمعاء، والرئـتين، والطحال
أي بيت سيكون مصنوعا من ذلك كله؟
من التماثيل التذكارية المغطاة بالجليد،
فلتكن هبتي مقبولة،
لقد رحلت، لا أدري في أي اتجاه.

بيركلي 1965

عندما تشرق الشمس

عندما تشرق الشمس وتتنزه سيدات في فساتين مزخرفة بالزهور
تدهشني أعينهن، حواجبهن ونسقُ العالمِ كلـه.
يبدو لي أنه، إذا كان بهذا القدر من الجاذبيةِ المتبادلة
فيمكن لجوهر الحقيقة أن يُثمر في نهاية الأمر.

بيركلي 1966

مبدع ڤيني أو «ڤيني كرييتور» «VENI CREATOR»

فلتأت، أيتها الروح المقدسة،
حيث الحشائش التي انثنت (أو لم تنثن)،
حيث يُشاهَدُ (أو لا يُشاهَدُ) من فوق رؤوسنا لسان ملتهب،
حيث حصاد الحشائش المجففة، أو عندما يحرثون بساتين الفواكه، أو
عندما يغطي الجليد أشجار عيد الميلاد في «سيرا نيڤادا – Sierra Nevada».
إنني مجرد إنسان فقط، لذلك أحتاج إلى علامات مرئية،
أغوص سريعًا في تشييد درجات تجريدية.
لذلك رجوت، وأنت تعرف ذلك بنفسك، أن يَرْفع التمثال
يده في الكنيسة، مرة واحدة، وحيدة.
ولكني أتفهم أن العلامات يمكن أن تكون إنسانية فقط.
فلتستدع إذن انسانا واحدا، كائنًا من كان في الأرض.
ليس لي، لأنني أعرف كذلك ما هو الاحتشام
ولتسمح لي عندما أنظر إليه، أن أعجب بك.

بيركلي 1961

نافـذة

شاهدت عبر النافذة بزوغ الفجر حيـث كانـت تقـف شـجرة تفـاح فتيـة شفيفة اللمعان.

وعندما شاهدت من جديد بزوغ الفجر كانت تـقف هنـاك شـجرة تفـاح مثقلة بالثمر.

من المؤكد إذن أن سنوات كثيرة قـد مـضت، ولكنـي لا أتـذكر مـا الـذي حدث في حلمي.

بيركلي 1965

البياض

إيهٍ أيها الأبيض، أيها الأبيض، أيها الأبـيض. المدينـة البيـضاء التـي يحمـل نساؤها الخبز والخضروات، قد ولدن تحت علامات دارت تحت أبراجي.

المواعظ من ينابيع نوافير المياه المتدفقة في اخضرار الـشمس كأيـام الزفـاف الماضية، وتجوال الفجر البارد من ضاحية إلى أخرى.

وإبزيمات[10] الأحزمة المدرسية أينما كانـت مغروسـة في الأرض الكثيفـة، والمستودعات والتوابيت الحجرية المكبلة بحبال النباتات المتسلقة.

وإلهام اللمس منذ البداية، الذي لا يقبل تعرُّفًا أو تذكُّرًا.

حيث عابر السبيل، وحيث أسير عبر شارع المحال التجارية بعد أن فقدت النطق.

القناديل في خيام الفاتحين قد طفحت بالـشمع، وغـادرني الغـضب وعـلى لساني طعم التفاح الشتوي الحمضي.

غجريتان قد قامتا من الرماد تدقان في الطبول وترقصان للبـشر الخالـدين الذين لا يموتون.

في السماء المسكونة أو غير المسكونة – من يهتمّ؟ – لَيْسَ إلّا الحَمَامُ والأصداء.

إن رثائي لكبير، فقد صدقت أن اليأس يمكن أن يستمر، وأن الحب يمكنْ أن يستمر.

في المدينة البيضاء التي لا يُسْعى إليها، المجهولة التي لا اسم لها، تلك التـي كانت، وتلك التي ستكون.

باريس 1966

---

(10) جمع إبزيم : الحلية المعدنية في الحزام .

تعويـذة

جميل هو العقل الإنساني الذي لا يقهر.
بلا قضبان، بلا أسلاك شائكة، بلا طباعة كتب فوق أوراق رخيصة،
بلا أحكام نفي تقـف بالمرصاد ضده.
إنه يرسّخ معالم الفكر الكوني في لغة
إنه يقود أيادينا، لذلك فنحن نكتب بحروف كبيرة
عن الحقيقة والعدالة، وعن الأكاذيب الصغيرة والظلم.
وهو فضلا عن ذلك يضعنا أمام ذلك الذي ينبغي أن يكون،
إنه عدو اليأس، صديق الأمل.
إنه لا يعرف يهوديا ولا يونانيا، عبدا كان أم سيدا،
يورثنا تركة العالم كي نحكمها وندير ها.
من الاضطراب الجدير بالازدراء إلى العـبارات المتزمتة
يُنْـقِـذ الجُـمَـلَ الصريحة والبسيطة للغاية.
إنه يقول لنا، إن كل شيء دائما لجديد تحت الشمس،
إنه يفتح قبضة ليُجَمِّدَ فيها ذلك الذي كان.
الجمال والشباب الفـتـيّ ، تلك هي المعشوقة «فيلو - صوفيّا»
وحليفها هو الشعر في خدمة الخير.

وأخيرا احتفلت الطبيعة بالأمس بمواليدها،
والأنباء التي ذاعت في الجبال من قِبَلِ وحيد القرن والصدى.
صداقتهما ستكون مجدا، زمنها ليست له حدود.
أعداؤهما سلموا أنفسهم للدمار.

بيركلي 1968

فن الشعر ؟

دائما ما تشوقت لأكثر الأشكال رحابة
تلك التي ليست بالشعرية أكثر من اللازم، ولا هي بالنثرية أكثر من اللازم
وتسمح بأن نتفهمها دون إلحاق الأذى بأحد
فلا المؤلف ولا القارئ، يتعذبان عذابا أليما

جوهر الشعر ذاته، ليس به شيء غير لائق:
ينهض منا شيء لم نعرف أنه فينا،
لذلك ترفُّ أعيننا، كما لو كان قد خرج منا نَمِرٌ
وقف في الضوء، ينفض عن جانبيه النيران

لذلك من الحكمة ما يقال : إن ما يملي الشعرَ شيطانُهُ الحارسُ،
وعلى الرغم من مبالغته - أخذا في الاعتبار - أنه من المؤكد ثمة ملاك.
يصعب تحديد من أين يأتي كبرياء الشعراء
فإذا قابلهم الخجل مرات، عندئذ نرى ضعفهم.

كم يريد الإنسان المتعقل أن يكون سيد الشياطين،
حيث تتحكم فيه، مثلما يحدث وهو في مكانه، ألسنة متعددة متغيرة،

كأن لم تكْـفِهِـمْ سرقة شـفته ويده
فيحاولون إراحة لضميـرهم تغيـيرَ قـدَره؟
ولأن كل ما هو مَرْضِيٌّ، يعد اليوم ذا قيمة،
فلابد من الظن، من أنني كنت أتـفكه،
أو أنني اكتشفت طريقة أخرى
بأن أمتدح الفن مستعينًا بالمفارقة الساخرة

ثمة زمن، كان تـُقـْرَأ فيه فقط كتب حكيمة
تساعد على احتمال الألم وكذلك الشقاء.
ورغم ذلك ليس هذا بالمثال، عندما تـتصفح ألف
كتاب تأتي مصادرها مباشرة من العيادات النفسية.

مع أن العالم مختلف عمّا نعتـقده
ونحن مختلفون أكثر عمّا هو قابع فينا من هوس.
فالبشر إذن يسلكون صمتا أمينا،
وبهذا يكـتسبون احترام الأقارب والجيران.

مكسبنا من الشعر، أنه يذكـرنا
كم هو صعب أن تبقى ذاك الشخص نفسه،
فبيـتـنا مفتوح على مصراعيه، وليس بالباب مفتاح

وضيوفنا غير المرئـيـين يدخلون ويخرجون.

ما أقوله لكم الآن، شعرا، أوافقكم أنه ليس بشعر.
لأن أبيات الشعر، حَرِيٌّ بها أن تُكْتَبَ نادرا، وعلى مضض،
وتحت ضغط لا يحتمل، وعلى أمل فقط،
في أن تتلبسها روح طيبة، ليست بشرية، ونكون نحن مجرد أداة لها.

بيركلي 1968

أشـــعار متناثرة

(1969-1954)

(إيسي - ESSE)

نظرت إلى هذا الوجه في ذهول.. هرول ضوء محطـة المـترو، ولم ألاحظهـا. ما الذي يمكن عليّ فعله، إذا لم تكن للبصر قوة مطلقة، للدرجة التي يلتهم فيها المواد المغتبطة ، النشوان في سرعة فارهة، تاركا من ورائـه فقـط خلـو الأشكال المثالية من المعنى، العلامة، الكلمات الهيروغليفية، التي قد تبسط معاني هذه الكلمات الآخذة أشـكالها عـن رسـومات الحيـوان أو الطـائر؟ أنفها منثنٍ انثناءً بسيطا، جبهتها مرتفعة فوقها شَعْـرٌ أسودُ مغسول أملس، ذقن مصفوف – ولكن لِمَ لَـمْ تكن للبـصر قـوة مطلقـة؟ – ففـي البيـاض الوردي اقتطعتْ فتحة، بدتْ وكأنها تجويف داكن لامع. وعلى الرغم مـن امتصاص هذا الوجه، إلا أن هذا الوجه يملك في الوقت نفسه مـن ورائـه خلفية من فروع الأشجار الربيعيـة، أسـوارًا، وجهًـا باكيًـا ، ضـاحكًا، في انسحابها إلى الوراء حوالي خمسة عشر عاما، في تقدم العمر إلى الأمام حوالي ثلاثـين عامـا. أن تملِـك؟!. لم يكـن هـذا الأمـر حتّـى مرغوبـا فيـه. إنهـا كالفراشة، كالسمكة، كسلالة النبات، هي تلك الأشياء المغلفـة بـالأسرار فقط. وهذا ما وصلتُ إليه، وهو أنه بعد عدة محاولات لتسمية العالم؛ فإنـه يمكن فقط تكرار ذلك التحدي الوحيد مرارا وتكرارا ، فضلا عـن ذلـك الذي يستجلب قوىً، ليس بمقدوره استدعاؤها: أنا أكون – وهي تكون.

فلتـصرخوا، فلتـنفخوا في أبـواق الترومبيـت، اصـنعوا آلاف المارشـات والمسيرات،

أعيدوا هذا التحدي.. مرة أخرى: أكون!

تهبط نحو «راسبيل». وتبقى مع مجموعة ضخمة من الأشياء الموجودة. إنها كالإسفنجة المكرهة على التحمل لأنه ليس بمقدورها أن تمتلىء ماء، كالنهر الذي يكابد، لأن انعكاس الغمامات والأشجار ليس بغمام وأشجار.

بري - كومت - روبرت 1954

رسالة

«هذه الرسالة» المرفقة هي استكمال لحديث، دام بضع ساعات بيني وبين الفيلسوف والكاتب الهندي «راجا راو - RAJA RAO»، وقد دار فيها بيننا باللغة الإنجليزية. أسطرها هنا كما هي بعد ترجمتي لها من اللغة الإنجليزية إلى اللغة البولندية».

راجا، لو أنني عرفت
مسببات هذا المرض.

لم أكن لأوافق طيلة سنوات
على المكان الذي كنت به.
لقد اعتقدت، أنه كان ينبغي عليّ
البقاء في مكان آخر.

المدينة والأشجار والأصوات الإنسانية
خلت من ملامح ذلك الذي يحمل اسم الحضور.
عشت أمل الانتقال إلى الأمام.

حيثما كان المكان فقد كانت المدينة حاضرة بشكل حقيقي،
مدينة الأشجار الحقيقية والأصوات، والصداقة والحب.

أوْصِلْ، إن أردتَ، حالتي المتفردة،
بحدود الفصام الشخصي
بالحلم التبشيري للحلم المنتظر
بحضارتي.

المرض يكمن في الحكومة الاستبدادية، في الجمهورية،
هناك أردت إنقاذ الحرية، وهنا أقضي على الرشا.
مشيدا في عقلي مدنًا حصينة طويلة الأمد
ومن هنا وإلى الأبد يختفي أيُّ تحرك صاحب خالٍ من المعنى.

تعلمت في نهاية الأمر أن أقول: هنا يوجد بيتي،
هنا، أمام الفحم المتقد في شروق شمس المحيط،
عند الشاطئ المائل نحو الشطآن المواجهة لآسيا التي تملكها،
في الجمهورية الكبرى، في فساد الاعتدال.

«راچا»، ومع ذلك فهذا لا يشفـيـني
من شعوري بالذنب والخجل.
الخجل من أنني لم أصبحْ
ذلك الذي كان عليّ أن أكون.
تلك اللوحة عنّي
تلك التي تتضخم فوق الحائط
وفي خلفيتها ظلي البائس.

وهكذا صدقتُ
في «الخطيئة الأولى»،
التي ليست شيئا آخر
إلا الانتصار الأول للذات.

ولأن ذاتي هي مصدر عذابي،
حيث أطارد وهمها،
فإني أعطيك، كما ترى،
برهانا جاهزا.

أصغي إليك وأنت تقول
إن الحرية ممكنة
وإن حكمة «سقراط»
وحكمة معلمك الروحي «جورو – Guru»
هي وجوه عدة لشيء واحد.

كلا، يا «راچا»، عليّ أن أبدأ من كوني من أكون.
إنني ذلك المسخ الذي يزورني في أحلامي
ويكشف
جوهري المختفي المتقنع.

فإذا كنتُ مريضا، فذلك لأنه ينقصني البرهان،
على أن المعافى يمكن اعتباره إنسانا.

كان على اليونان أن تخسر، فإن طهارتها الواعية
جعلت من ألمانا المبرح أكثر قساوة

كنا في حاجة إلى «رب» يحبنا في ضعفنا،
وليس لمجد التوحد الطوبيّ به.

كل هذا من أجل لا شيء، يا راچا، فالخسارة هي قدري،
والصراع والخزي وحب الذات وحب الكراهية،
والصلاة من أجل المملكة،
وقراءة «باسكال».

بيركلي 1969

مهمـة

في الخشية والارتعاش أُحسُّ بأني قد أتممت حياتي
لو أنني جئت بنفسي لأقدم اعترافًا أمام الناس
فسأظهر فيه احتيالي واحتيال عصري:
فلقد كان مسموحًا لنا أن نصرخ على لسان الأقزام والشياطين
فالكلمات المتصفة بالنقاء والجلال كانت ممنوعة
تحت عقاب صارم، للدرجة التي إذا تجرأ فيها أحد على النطق بها
اعتبر نفسه مفقودًا منسيًا.

بيركلي 1970

ســاعــة

عندما تضيء الشمس بوضوح فوق أوراق الشجر، فإن طنينا يتوهج بالغيرة،
حيث تـُسْمَعُ من بعـيد، من وراء النهر، أصداءُ أصوات ثرثرات متوانية
ودقات شاكوش متباطئ قد يسعد أحدًا غيري.
وقبل أن تـتـفتح الحواس الخمس، ببدايـاتها المبكرة
فإنها تنتظر، وهي متأهبة كل أولئك الذين يسمون أنفسهم: الخالدين،
ليكونوا سببا في ذيوع صيت رجل مثلي، يالها من سعادة.

بيركلي 1972

قــراءة

سألتني عن الجدوى من قراءة «بشارة الإنجيل»[11] باليونانية.
أجبتُ، بأنه من اللائق أن نحرك إصبعنا
بطول الأحرف الباقية أكثر من تلك المحفورة في الحجر،
وكأننا ونحن ننطق ببطء كل مقطع لفظي،
نتعرف في الوقت نفسه على الجلال الحقيقي للكلمات.
مرغم على التنبيه بالتفكير في تلك الأزمان،
ليس أبعد من الأمس، عبر وجوه القياصرة
فهي مغايرة للوجوه المطبوعة اليوم فوق العملات. وهي دائما مستمرة
حتى ذلك الزمن المنـتهي
الخوف والرغبة المتعطشة نفسها، الزيت والنبيذ ،
والخبز ، كل هذا يعني الشيء نفسه. وكذلك هذا الازدحام المتقلب
الشَّـرِهُ للمعجزات كما كان في الماضي. حتّى العادات
ومآدب حفلات الزواج والأدوية والبكاء على الموتى
حيث يبدو أن ثمة اختلافا فقط من الخارج . فعلى سبيل المثال عندئذ
كان هناك الكثير من أولئك، الذين يسمون في نص «البشارة»
المتلبسين روح الشيطان
أو المتورطين في حب الشيطان (أو إن كنت تفضل «الممسوسين»

(11) مختار من أحد الأناجيل الأربعة، يتلى في قداس - المترجمان.

فلغتنا تحميهم من أهواء قاموسنا اللغوي).
حيث تشنجات الشفاه ترغي وتزبد، حيث صرير الأسنان
لم يكن هذا آنئذ علامة من علامات الموهوبين.
فلم يملك الممسوسون مطبوعات أو شاشات عرض،
نادرا ما كانوا منشغلين بالفنون والأدب.
ولكنّ «بشارة الإنجيل» سوف تـتحدث عنهم بقوة:
فالروح المهيمنة عليهم يمكن أن تتخفى داخل جلد خنزير،
وهي من فرط يأسها الشديد تصبح قعقعة فجائية
طبيعتان : ذاتية منها وإبليسية أو شيطانية،
تقفزان نحو الماء وتغرقان. وهذا ما يزال يتكرر.
هكذا يرى القارئ المثابر في كل صفحة من نص البشارة
عشرين قرنا وكأنها عشرون يومًا
ولكن في عالمنا اليوم، يقترب اليوم الواحد من نهايته.

بيركلي 1973

عقيدة اقتصادية

لم أفكر، أن أحيا لحظة غير عادية كهذه.
عندما قام إله الرعود والجبال الصخرية،
رب الجيوش، «كيريوس ساباؤوس»،
أكبرُ من قام بإذلال البشر،
حيث سمح لهم بأن يحيوا على النحو الذي يرتضونه،
حيث يترك لهم النتائج، من غير الإعلان عن مسبباتها.
كانت هذه تمثيلية عجيبة حقّا،
بعد مرور قرون من الزمان من حياة سلسلة من مآسي الملوك.
حيث الطرق المشيدة فوق الأعمدة الخراسانية، والمدن الزجاجية
والصُّلبَة؛
حيث المطارات الضخمة أكبر من سلطان دول القبائل
فجأة تختفي المبادىء وتتساقط.
ليس في الحلم ولكن في الواقع، ليصبح استمرار ذلك مستحيلا.
من الأشجار، والحقول الحجرية، وحتّى الليمون فوق المائدة
هربت المادية ومعها هربت أطيافهم
بعد أن اتضح أنها عقيمة، مجرد غبار فوق شريط فيلم.
لا تورث موضوعاتها، كان فضاؤها ازدحاما.
كان كلُّ مكان لا مكانا، واللامكان كان كلَّ مكان.

حروف الكتب القديمة المفضضة، تمايلت، وتلاشت.
لم تعد اليد بقادرة على تـتبع علامات النخيل وعلامة النهر، أو علامة «إيبـيس».
صخب الألسنة أعلن عن موت اللغة.
البشر، أصيبوا بالبلاء من جراء أسى مبهم،
رموا الملبس فوق الميادين العامة كي يستفز القـُضَاةَ عُرْيُـهُمْ.
ولكنهم أحسوا بالشوق إلى الرعب والتعاطف والغضب.
لم يكن مبررًا بشكل كافٍ
ما كان يسمّى عملا أو راحة
أو وجها أو شعرا أو خواصرَ
أو أيَّ شيء موجود.

بيركلي 1973

الـنبـأ

عن حضارة الأرض ما الذي يمكن لنا قوله؟

إنها كانت نظاما من أنظمة الكواكب السيارة الملونة من الزجاج المضبَّب،
تفكَّك فيه خيط من السوائل الضوئية وتجمع.

أو إنها كانت تجمعًا لقصور مشعة،
تُـقْـذَفُ من قباب بواباتها المصمتة
سارت من ورائها «الهولات» بلا وجوه.

وإنه في كل يوم تنبذ الأقدار منها، وإن كل من سُحِبَ أسفل
من الأضحيات كان: المسنين الأطفال والأولاد والفتيات.

ويمكن لنا القول أيضًا: إننا سكنّـا في خرائب ذهبية،
في شباك قوس قزح، في شرنقات غمامية

كانت هذه شباكنا المغزولة بعلامات:
معلقة فوق فروع أشجار الكواكب السيارة.
هيروغليفية العين والأذن، خواتم مفطورة على الحب.

والصوت يرتد إلى الداخل، ينحت لنا الزمن،
حيث لغو لغتنا المضطربة والمرتعشة.

فمن أي شيء نجدل ضفيرة تلك الحدود
ما بين الداخل والخارج، ما بين النور والهاوية،
إذا لم يكن من ذوات أنفسنا، من أنفاسنا الدافئة،
من الأصباغ فوق الشفاه، والغازات، والموسلين،
من نبضات القلوب، التي صمتت، فهات العالم؟
أو ربما علينا ألّا نقول شيئًا عن حضارة الأرض.
فلا أحد بمقدوره أن يعرف بالضبط ما كان.

بيركلي 1973

القليـل

لقد قلت القليل.
الأيام قصيرة.

الأيام قصيرة،
الليالي قصيرة،
السنوات قصيرة.

قلت القليل
فلم ألحق.

لقد أرهقـتْ قلبي
السعادةُ،
واليأسُ،
والشعورُ بالمرارة،
والأمل.

الحيتان التي
تطبق عليَّ أفواهها.

رقدت عاريا فوق شطآن
الجزر الخالية من البشر.

لقد سحبني معه إلى جوفه
حوتُ العالم الأبيض.

ولا أعرف الآن
ما الذي كان في الحقيقة.

بيركلي 1969

عن الملائكة

لقد سلبوكم الرداء الأبيض،
الأجنحةَ وحتّى الوجود،
وأنا على الرغم من ذلك أؤمن بكم،
أيها المرسلون.

هناك حيث العالم مستدير نحو الناحية الأخرى،
حيث الغَـزْلُ الـمُطرزُ للنجوم والحيوانات،
تتنزهون ناظرين إلى التجاعيد المفعمة بالثـقة.

بقاؤكم هنا قصير،
ربما عند بزوغ الفجر، إذا كانت السماء صافية،
في لحن متكرر يغرده طائر،
أو في رائحة التفاح عند المساء
عندما يغازل الضوء البساتين.

يقولون، إن أحدا منكم قد لفّـقَ وجودَكم
لكن هذا لا يقنعني.
فالبشر يلفقون وجودَهم بأنفسهم.

الصوت - ربما يكون هذا دليلا،
على أنكم منتمون إلى تلك المخلوقات المشعة غيرِ المشكوكِ فيها،
خفيفة ولها أجنحة (ولم لا تكون لها)؟
مطوقة بأحزمة من وميض النور.

أصغيت إلى هذا الصوت المرة بعد المرة في نومي
و.. وما هو غريب، أنني استوعبته تقريبًا
أمر أو استغاثة على لسان غير أرضي:

بعد قليل سيأتي يوم
يوم آخر
فافعل ما يكون بمقدورك فعله.

بيركلي 1969

فصول السنة

شجرة شفافة زاخرة بالطيور المهاجرة
في الصباح الأزرق، البارد. فما يزال الجليد باقيًا فوق الجبال.

بيركلي 1971

هبـــة

يوم كهذا سعيد.
حيث تركه الضباب مبكرًا، واشتغلتُ في الحديقة.
حيث وقفتِ «الطيور الطنانة» فوق الزهور الغنية بالرحيق.
لم يكن فوق الأرض شيء أريد أن أملكه.
لم أعرف أحدا يستحق غيرتي.
ما حدث من شر عانيته، نسيته.
لم أشعر في جسدي بأيِّ ألم.
وعندما صرختُ مُحتجًّا، رأيت بَحْرًا أَزْرَق ومراكب شراعية.

بيركلي 1971

من ديوان

«عندما تشرق الشمس»

من الجزء الثاني:

يوميات «طبيعي» (ينتمي إلى المدرسة الطبيعية في الأدب)

لقد تاه الجيل. وكذلك المدن والأمم.
ولكن هذا حدث مؤخرا. في غضون ذلك ما يزال «السنونو» في النافذة
يؤدي مراسيم الثواني. وذاك الصبي، أكان يتوقع في ذلك الحين
أن الجمال دائما في مكان آخر، وأنه دائمًا وهمي؟
إنه يرى الآن أوطانه. ويحصد الثوانيَ.
يرى منعطفاتِ الطرق، المرتفعةِ نحو الجبال، والمنخفضة، والخمائلَ،
والأنهارَ.
والسماءَ الملبدةَ بالغيوم بشعاعها الوحيد المنحرف.
يرى الرجال في كل مكان، وهم يحصدون صفوف الأرض في قمصانهم
من الكتان السميك.
وبناطيل زرقاء داكنة ملونة حسب التقاليد المرعية.
إنه يرى ما أراه حتّى الآن. آهٍ كان ماهرا،

نظر إلى الأشياء وكأن الذاكرة قد غيرتها منذ الوهلة الأولى .
استدار وهو راكب عربة تـُجَرُّ باليد، لأنه أراد أن يحتجز أكبر قدر من الذكريات.
وهذا يعني أنه جمع ما هو ضروري في اللحظة الأخيرة
عندما جمع الفتات ليشكل عالما متكاملا.

من الجزء الخامس:

استراحة قصيرة
- أيها الرحالة الجليل، من أين جئت إلينا؟
- عاصمتي في الوادي بين هضاب الغابات،
في القلعة المنيعة عند ملتـقى نهرين،
نشرت صيتـَها أماكنُ العبادة فيها: الزخرفية:
الكنائس الكاثوليكية منها والأرثوذكسية ومعابدُ اليهود والمساجد.
في بلادنا يُزرع الشعير والكتان، وينقل أخشاب الأشجار فوق الطوافات المنجرفة.
وكان جيشنا يتكون من أفواج الخيالة المحاربين بسيوفهم،
وأفواج الخيالة التـترية وأفواج الفرسان.
كانت لنا طوابع بريد لبلدنا
مثلت صورا وأشباحا
نحتها فنانون منذ زمن بعيد،
لأصدقاء و أعداء، «پيترو» و«جيوڤاني»،

في مدارسنا تعلموا «العقائدية» (Dogmatic) ،
والدفاع بالحجج عن الدين المسيحي وأحكام التلمود و«تيتوس ليڤيوس»
(Titus Livios).
أما «أرسطاليس» فكانوا يقدرونه تـقديرًا فائقًا
على الرغم من أن مسابقات الاختفاء في الأجولة[12] والقفز عبر النيران
في ليلة القديس «چون» كانت أكثر إثارة بالنسبة لديهم.
- أيها الرحالة الجليل، لأي زمن تـنتمي؟
- إلى «الملهاوي». حيث نُسيَ الإرهاب.
حيث بقي المضحك العابث فقط كي يبني من سيرث الأرض.
حيث الموت يولد من الجراح، من الشنق، من الجوع، إنه الموت ذاته.
لكنَّ فنَّ المهرج وافر فسيح ، وكل عام يأتي إلينا بجديد.
لقد شاركت فيه، وربطت رباط عنقي
لا أعرف لم، ولم رقصت رقصات مستمرة.
مثّلتُ زبونا، يشتري البلوڤرات ومراهم الشعر،
قلدت بتمثيلي الصامت، الضيف الدائم الحييَّ،
وانطباعي عن الرجل المتظارف وهو يستعرض جسده المنعكس على
فترينات محال البيع والشراء.

---

(12) «لعبة الأجولة» هي لعبة بولندية، تعود إلى تقاليد التراث الشعبي، وتدور حول شخص ما يدخل في جوال كبير جدا، ويحاول أن يصل بجسمه داخل الجوال إلى المنتصف، ويربطه به وغير مسموح له بالخروج منه، بل إنه على هذا الشخص أن يقفز بالجوال إلى مكان بدء السباق، وهي لعبة ما تزال مستمرة حتى اليوم - المترجمان.

كان عمري منتميا للدرجة الثانية، وكذلك عقلي.
حيث كان اللاوعي فيه يتعدّى حدود ذاتي.
حاولت بصعوبة أن أتخيل أرضا أخرى ولم أستطع.
حاولت بصعوبة أن أتخيل سماء أخرى ولم أستطع.

بيركلي 1973 - 1974

ترنيمة حول لؤلؤة

(1981)

الجبل السحري

لا أذكر منذ متى مات «بودبيرج» (Budberg) هل هما عامان؟ أو ثلاثة.
وينطبق الأمر نفسه بالنسبة لـ«الخان» (Chen). عام أو أبعد من ذلك.
بعد فترة وجيزة من وصولنا، قال «بودبيرج» وهو مستغرق في تفكير متأمِّل حالم:
إنه يصعب منذ البداية التعود على المألوف
فليس هنا ثمة ربيع وسنون، ولا خريف وشتاء.

«- حلمت دَوْمًا بالجليد وغابات «البتولا».
حيث لا توجد في معظم الأحوال فصول السنة، ولا تدرك كيف يمرُّ الزمن.
هذا هو - سترى يا سيدي - الجبل السحري».

بودبيرج: في طفولتي كان لقبي العائلي
يعني الكثير بمنطقتنا
تلك العائلة الروسية، الممتزجة بالبلطيق الألماني.
لم أقرأ أيَّ عمل من أعماله، وتحديدا المتخصص منها.
أما «خان» فكان - كما سمعت - شاعرا بارزا.
ينبغي عليَّ أن أثق فيما سمعت، ذلك أنه كان يكتب بالصينية.

أكتوبر المفرط في الحرارة، يوليو البارد، والأشجار المزدهرة في فبراير.
حتى طيران أسراب الطيور الرنانة، المهاجرة للتكاثر، لا تتكهن بالربيع.
فقط إنه نبات «النَّب» الوفيُّ يطرح أوراقه بلا سبب
وفقا لما تعلمه هذا النبات عن أسلافه.

شعرت بأن الحق في جانب «بودبيرج» فَتمرَّدْتُ.
فلن أحصل على القوة، ولن أنقذ العالم إذن!
والشهرة سوف تتخطاني، بلا إكليل ولا تاج!
أ لهذا دربت نفسي المتفردة،
لأضع أبيات الشعر لنوارس البحر وغيومه،
وأتسمّع دويَّ أبواق البواخر بصفيرها المتقطع هناك من بين الضّباب؟

إلى أن تختفي.. ما الذي اختفى؟ الحياة.
الآن لا تخجلني خسارتي.
جزيرة واحدة من الجزر الضّبابية وصَرَخات الفَقمات
أو صحراء ظمآنة، كافية
لأن تقول: yes، نعم، si.
«حتّى - ونحن نائمون - نعمل من أجل إقامة عالم مناسب».
بقاؤه مرتبط فقط بدوامه.
بالإيماءات خلقت حبلًا غيرَ مرئي.
واعتليتـهُ وأمسكَ بي.

أيُّ موكب هذا! !Quelles delices
أي قبعات وأي عباءات جامعية نراها!
يرتديها المحترم المبجل البروفيسور «بودبيرج»،
والمحترم الكبير البروفيسور «خان»،
والمبجل غير المناسب البروفيسور «ميووش»
الذي كتب أشعارًا بلغة أشبه ما تكون بلغة غير معروفة.
على أية حال من ذا الذي يضعهم في الحسبان. فهنا شمس.
تَبْيَضُّ من تأثيرها شموعـهُم الرفيعة الشاحبة
وكم هي أسراب الطيور الرنانة التي ترافقهم
عندما يسيرون إلى الأمام.. عبر الجبل المسحور.
حيث يرافقهم الضباب البارد الآتي من البحر، إشارة إلى أن يوليو آتٍ من جديد.

بيركلي 1975

منظـر

لم ينقصْ هذا المنظرَ الطبيعيَّ شيءٌ غير المجد.
غير رسل المملكة، الذين كانوا سيحملون عطاياهم:
الاسم بخاصيته والفعل بتصريفاته.
فلتتألق أشجار البلوط الأثيرة بسخاء
عندما يذهب السادة الطلاب الشجعان عبر الطريق إلى الوادي
وهم يغنون «هاي عندما تلتمع العيون بهجة».
فلينحت «فيلون» الوحيد في لحاء الشجر حروفا.

لم ينقصْ هذا المنظرَ الطبيعيَّ شيءٌ غير المجد.
ولم يكن هناك رسل المملكة.. الأدغال والوهاد المظلمة،
غابة تلد غابة، والحدأة تنتحب.
ومن ذا الذي يكون بمقدوره هنا أن يؤسس جملة؟
كان منظرا، ماهيته غير معروفة، لكنه من المؤكد جميل.

وهناك بعيدًا كانت: قاعاتُ القلعة
الشوارع الضيقة من وراء الكاتدرائية وبيوت الدعارة والمحال.
ولا أحد من البشر. إذن كيف يمكن أن يوجد رسل المملكة؟
وبعد مرات فشلٍ منسية ورثتُ الأرض
حتّى حدود شاطئ البحر، وفوق الأرض والشمس.

بيركلي 1975

سكرتير

خادم أنا ولكن للأشياء غير المرئية،
التي تـُمْـلَى عليَّ والبعضِ الآخر.
نحن - السكرتيريـن - لا يعرف بعضنا بعضًا، نسير فوق الأرض،
لا ندرك الكثير. نبدأ الحديث بمقاطعة الآخرين في منتصف الجملة،
أو قبل «النقطة». فكيف يمكن أن يصاغ الكلام بشكل نهائي
ليس عليَّ التحقيق في هذا الأمر، فلا أحد منا بمقدوره القراءة على أية حال.

بيركلي 1975

بـرهان (دليل)

ومع ذلك خَبَرْتَ الأشعة الجهنمية.
بمقدروك أن تتعرف على ماهيتها: حقيقتها،
وانتهائها بخطافات حادّة لتـشقّ اللحم
إرْبا إربا، حتّى العظم. وسرتَ في طريقك
ودار التعذيب، وسالت الدماء، وضربات السّوط.
أتذكر ذلك ؟ فلا تـتـشكك. من المؤكد أن هذا هو الجحيم.

بيركلي 1975

دهشـة

أوه، يا لجمال الفجر في النافذة. والمدافع ترسل تحياتها.
وفي النيل الأزرق يطفو قارب «موسى» الشبيه بالسَّلة.
بلا حراك يقف في الهواء من بين الأزهار حيث نطير.
أزهار القرنفل البديعة، والزنابق فوق الموائد القصيرة الطويلة.
يُسْمَع نفير أبواق الصائدين، صائحين: هيلا هيلا.
حيث جوهر الأرض غير المحدود والذي يفوق الحصر:
رائحة الزعتر ولون التَّنوب، والصقيع، ورَقصات الكركي.
يحدث كل هذا في وقت واحد. وربما إلى الأبد.
لم تر العين ولم تسمع الأذن، ولكنَّ هذا كان.
لم تعزف الأوتار، لم ينطق اللسان، ولكنَّ هذا سيكون.
الآيس كريم بالفراولة، نسوح في السماء.

بيركلي 1975

«فيلينا»

معمل الأطياف في الجبال يصعد منه الدخان.
والضباب يتصاعد فوق درجات الضوء الأزرق.
مخترقا الشارع فكرتُ فيكِ «فيلينا».
أنت التي تظهرين مع جمال التنورات الخفيفة،
وتغنين أغنيتك المسلية:

«صُنِعَ حذائي من جلد الفأر
هذه القفازات نفسها حصلتُ عليها من عمتي».

وأمام المرآة تـتـنزهين توم - تا - توم
قبل أن تهرولي
إلى أسفل نحو حافلتنا.

الخيول السريعة تسير بنا من بـين الطريـق الـذي اصـطفت عليـه أشـجار الحور.
حيث يجلس صائدو الأسماك عند الأنهار في أيام الأعياد.
ونحن نكسو السماط بالغطاء الأبيض تحت شجرة التُّـفاح.
وفي الكوب الفضي نسكب النبيذ الأحمر

- ولكن أين توجد هذه الضواحي الخلابة؟
- في الإمارات البعيدة خلف البحار، «فيلينا».

وحتّى لو كانت أشرطة شعرك رخيصة
وملابسكِ الداخلية نظيفة بالكاد،
فهذا اليوم، ومسيرة السحب البيضاء ستبقى على الدوام،
كي تساعدنا الأرض الحقيقية.

معهود بكِ أنتِ رعاية أبدية،
يحميها ظل فراشة تطير في الهواء
وتـشكل الأرض من جديد على شاكلتها،
هناك حيث لا يوجد ألم، ولا سخرية للأقدار.
«فيلينا» : التنورات تتطاير.
المرايا تختفي.
توم – تا – توم.

بيركلي 1976

مذكـرات

عن الحاجة إلى رسم الحدود
كان البحر مضللا وهزيلا.

برهان يثير الدهشة
المسيطر على الظواهر الطبيعية منحنا أغنية لِنُسَبِّح بميلادها؟

وفقا لـ «هيراقليطس[13]- HIRAKLITUS»
النار الحية الأبدية، هي معيار لكل شيء، تماما كالنقود التي هي معيار للأغنياء.

منظر طبيعي
ليس ثمة حاجة للغابات السابحة في العسل الذي ينتجه النحل البري.

اللغة
الكون يعني الألم الذي تتسكع فيه لغة شيطانية داخلي.

تضرع
من صمت المجرة احمنا.

---

(13) فيلسوف إغريقي قال بأن النار هي أصل الكون - «المترجمان».

في كل الأحوال

عندما يُـلْـعَن المصير، فلست أنا، إنها الأرض بداخلي.

من ذخيرة المبادئ الفيثاغورية

تاركا أرض وطنك ، لا تتراجع، فإن «إرنيس» خلفك.

فرضية

إذا قالت، بأنك قد كتبتَ بالبولندية كي تعاقب نفسك لقاء إثمك، فسوف يتم إنقاذك.

پورتريه (صورة شخصية)

سُجـنَ في البرج، قرأ المؤلفين القدماء، وعلى الطريق كان يغذي الطيور.
لأنه فقط كان بمقدوره أن يتناسى ذاته.

تعزية

فلتهدأ. فإن آثامك وأفعالك الطيبة سوف تضيع في النسيان.

DU UT DES

شعر بالامتنان، ولذلك كان من المستحيل إذن ألّا يؤمن بإله.

الجمهورية المثالية

منذ الصباح الباكر، كان يصعبُ على الشمس أن تـصل هنـاك عـبر ظـلال نبات «النّب»، التي تسير متناسية كلمة مقدسة هي: يكون.

الـمُغـوِي في البستان
بلا حراك، وأنت تنظر إلى فرع شجرة، والشتاء والحياة.

تآلف (انسجام)
لقد جُـرِّدَ. ولم لا يُمْكن أن يُـجَرَّد؟
كان هناك أفضل منك قد جُرّدوا.

نقيصة وخصيصة
كنتَ دَوْمًا مستعدًّا للركوع - فقد كنتُ مستعدا للركوع.

ما يرافقـنا
جسور جداول الجبال بسياجها الخشبي، تـذكرنا بأصـغر قطـع مـن لحـاء الشجر البارز.

الغرب
فوق الهضاب القشِّيَّة اللون، الواقعة تحت مشارف البحـر الأزرق البـارد، توجد الأدغال السوداء من شجر السنديان الشائك.

كتابة نقشية عند قبر «ل. ف» المجهول
ما كان بك غير مشكوك فيه، قد خسرته، وما كان فيك من إيمان قد انتصر.

نقش على ضريح
أنت، الذي فكرت فينا وقلت: عاشوا في وهم،

فلتعرف أننا نحن - أصحاب الكتب - لن نموت أبدًا.

ذكرى وذكرى

لا تعرف. لا تتذكر. لقاء هذا ثمة أمل:
أنه يوجد من وراء نهر «ليثي - Lethe» ذكرى، قد برئت.

حول الهدف من الحياة

آهٍ، فلتكشف خجلي المكتسي لونا قرمزيا.

دواء

لو لم يكن هناك اشمئزاز من رائحة جلده، لكان بمقدوري أن أعتقد أنني إنسان طيب.

شوق

لا لأكون إلها من الآلهة أو بطلا من الأبطال.
ولكني فقط أصبح شجرة، باقية من قرون، لا تؤذي أحدا.

جبال

الحشائش المبتلة حتى الركبة، فالأرض المقطوعة من شجر توت العليق أكثر طولا من الإنسان، وسحابة قريبة من منحدر الجبل، وفي السحابة غابة سوداء. وكهنة كنائس العصور الوسطى المرتدون جلودا قد أتوا هابطين إلينا بينما نحن صعدنا إلى أعلى.

حركة لا رجعة فيها

فوق خرائب بيوتهم نمت غابة فتية.

وتعود الذئاب وينام الدب البري آمنا في أجمة توت العليق.

صباح مبكر

استيقظنا من أحلامنا، لا أعرف ربما من آلاف السنين.

ومن جديد طار النسر نحو الشمس، ولكن هذا لم يكن يعني الشيء نفسه.

صيد وفير

(من لوقا 10 – 5.4)

فوق الشاطيء تتقلب الأسماك متمايلة في الشباك الممتدة للصائدين شيمون وجيمس وجون.

طيور السنونو تحلق عاليا، وأجنحة الفراشات، والكاتدرائيات.

تاريخ كنيسة

منذ ألفي عام حاولت أن أفهم ما كان بها.

بيركلي 1978

من قصيدة
«دفتر ملاحظات منفصل» (1977- 1979)

(صفحة 25)

تكلمتَ، وبعد كلامك سكن الجميع.

بعد كلماتك – يجيء الشعراء والفلاسفة وراسمو خطوط القصص الرومانسية الملفَّقة – وتجيء البقية الأخرى المنبثقة من أعماق الجسد،

تلك التي تحيا وتعرف، وليس تلك التي يسمح بمعرفتها.

محاصر أنا الآن داخل الصمت المطبق.

فالكلمات ليس كل إنسان في حاجة إليها.

الطيور التي قتلتْهَا، الأسماكُ الموجودة في قاع قاربك

في أيِّ الكلمات تستريح وتحت أية سماء؟

لقد وهبتُكَ العطايا وقَبِلْتَ.

لكن ليس بمقدورك أن تعرف كيف تفكر في أولئك الموتى منذ زمن بعيد.

في رائحة التفاح الشتوي، والصقيع والكتان.

ولا شيء غير الهبات فوق هذه الأرض الفقيرة.

أكاديمية مظلمة. يجلس جمع من المترجمات في مشداتهن النسوية، ومعلمات الأجرومية اللغوية بتنوراتهن، الشاعرات بملابسهن التحتية المخرمة. يدور علمهن حول تلامس الحرير للجلد، وحول الإصغاء لخشخشة الفساتين وحفيفها، حول ضرورة رفع الذقن، عندما تتمايل خصلة ريش الزينة فوق القبعة. إنهن يُعَلِّمن العادات المتبعة في كيفية وضع القفازات الطويلة عند المرفق، والمروحة، وأهداب الجفن الغائمة، وانحناءات الاحترام، فضلا عن الكلام الإنساني العادي ، عن المبولة القيشانية، التي يتجه البصر إليها ويخترق قاعها الخبيث، حيث رُسمت هناك عين يطلق عليها «إناء - وعاء»، وحيث الحديث عن المشد الذي يحمل صدر النساء ويسمى«soutien - gorge»، ليكون على الموضة الفرنسية للجدات المسنات اللائي تذكرنا ستراتهن بسترات الجنود الإنجليز الحمراء، وتوحي إلينا بدورة الطمث عند الإعلان الرسمي: «لقد وصل الإنجليز». فالهدف الأسمى والأسلوب يرقدان في ابتسامة لافتة للنظر، فكل شيء شبه صادق: أصوات الأوركسترات، حفلات الموسيقى في الحدائق المفتوحة، اللوحات داخل إطاراتها المذهبة، في التراتيل، الجوقات، التماثيل المرمرية، خطابات رجالات الدولة، وكلمات السجلات الوثائقية. في حقيقة الأمر هذا هو ما يوحي به الوعي الداخلي، إن هذا ليس سوى شعور قوي بالدفء، واللزوجة، وكذلك شعور بالرصانة واليقظة، عندما يلتقي المرء بهذا الشيء الفاتن والآمن، الذي لا اسم له، والذي يقال عنه: الحياة!

أيها الجمال، مبارك أنت: أنت كل ذلك الذي جمعته فقط
من الحياة التي كانت بدورها مُرَّة ومخبولة،

وهذا الذي تعلمته من شروري ومن الآخرين.
فالدهشة تتآكلني والدهشة فقط هي كل ما أذكره.
تشرق الشموس لتنسكب في أوراق الشجر الخضراء،
تتفتح الزهور في أثناء الليل، والحشائش البرية،
وملامح الجبال الزرقاء أمام صيحات التهليل والتمجيد للرب.

كم مرة قلتُ: هذه ليست حقيقةَ الأرض.
اللعناتِ والعويل كيف يمكن أن تكون تراتيلَ؟
ما الذي يدعوني إلى أن تتظاهر، على الرغم من أنني أعرف الكثير؟
لكن الشفاه نفسها قد مدحت ومجدت، والأرجل نفسها قد هرولت،
دق القلب بشدة واللسان أعلن عن عبادته.

شارع ديكارت

مرورا بشارع «ديكارت»
هبطت تجاه شباك صيد الأسماك، فتاة بربرية مسافرة
جاءت لتوها إلى عاصمة العالم.

كان البعض منا، من «جيسى»، «كولوشفار»، «فيلنا» و«بوخارست»، «سايجون» و«مراكش»،
نتحدث بخجل عن عاداتنا المنزلية
التي لا ينبغي التحدث عنها لأحد:
استدعاء الخدم بالتصفيق، وهرولة الفتيات عراة الأقدام،
اقتسام الطعام مع التراتيل،
صلاة الجوقة التي يقيمها السادة وأهل البيت معا.

خلّفتُ من ورائي سُحُبَ الأقاليم.
اخترقتُ كلَّ ما هو كوني، ومدهش، ومرغوب فيه.

وفيما تلا ذلك كان العديد من «جاسي» و«كولوشفار» أو «سايجون» أو «مراكش» قد قُتلوا لأنهم أرادوا أن يقضوا على العادات المنزلية.

فيما تلا ذلك استولى رفاقهم على السلطة
ليكون بمقدورهم ، باسم الجهال ، أن يغتالوا أفكار الكون.

في غضون ذلك ووفقا لطبيعتها احتفظت المدينة برونقها،
الضحك الخارج من الرقبة يصبح أكثر ارتفاعا في الظلمة،
حيث يُخْبَزُ الخبزُ طويلا ومن القوارير الطينية يسكبون النبيذ،
ويبتاعون من الأسواق الأسماك والليمون والثوم،
سواء كان هذا باسم الشرف أو الخزي أو السمو والمجد،
لأن ذلك كله كان قد تغير
ليتشكل في تماثيل لأشخاص لا أحد يعرف من هم،
وليصاغ في ألحان أوبرالية مغناة يصعب الاستماع إليها، أو في جمل ملتوية.

ومن جديد أسْنِدُ الكوع فوق جرانيت السد الخشن،
وكأنني عدت من ترحالي داخل بلدان ما تحت الأرض
حيث شاهدت هناك في الضوء الملتوي اقترابا من فصول السنة
وسقوط الإمبراطوريات، وأولئك الذين عاشوا وماتوا.
ولم يعد ثمة هنا أو - بصورة مطلقة - عواصم للعالم.
وجميع العادات التي قد قضىَ عليها عادت إليها شهرتها.
وعرفت عندئذ، أن زمن الأجيال البشرية ليس قريبا من زمن الأرض.

ومن آثامي الكبرى إثم أتذكره جيدا:
عندما سرتُ مرة في طريق الغابة بالقرب من النبع
رميت بحجر كبير على ثعبان مائي ملتف بالعشب

وما لقيته من الحياة كان عقابًا لي مبرَّرًا،
فقد انكسرَ في داخلي - عاجلا أو آجلا - كلُّ ما هو مُحَرَّم!

بيركلي 1980

أنهــار

تحت أسماء متباينة رفعتـُكِ إلى المجد أنتِ فقط، أيتها الأنهار!
أَنتِ العسل والعشق والموت والرقص.
من الينبوع في الكُهوف السرية المختبئة داخل الأحجار الطّحلبية،
حيث الإلهات يسكبن المياه الزُّلال من أباريقهن
ومن الجداول البيضاء فوق المروج، من تحتهـا تدمـدم جـداول النهـيرات البيضـاء،
حيث يبدأ عَـدْوُكُـمْ وعَـدْوِي، والدهشـةُ والعبورُ السريع.
لقد صعدْتُ الوجه في عين الـشمس، عاريـا، موجّهًـا بـصعوبة المجـذاف المنغمر،
وتبلَّلت غابات البلوط، والحقول، وغابات الصنوبر،
ومن خلف كل مُنْحَنى تنفتح أمامي الأرض الموعودة،
القرى المغطاة بالأدخنة، القطعان النائمة، طيـور الـسنونو الطـائرة، رمـال الشطآن المغتسلة.
اقتحمت مياهكم وئيدًا خطوة خطوة
والتيار أخذني من رجليَّ في سكون
حتىّ استسلمت، وحملني، وسبحت
عبر انعكاسات السماء الكُبرى في عصر يوم منتصر.
كنت فوق شُطآنِكم عند منتصف ليلة صيف،

عندما يغادر القمر المكتمل لامسًا الشفاه في طقسية القُبَل.
وصخبكم بالقرب من .....تماما مثلما أصغي حينئذ إلى نفسي أصغي
إلى نداء للعِناق، والمواساة.
ومع دقات جميع الأجراس في المدن المغمورة نرحل.
والمنسيون يَـحْيون وهم يعانقون الأَمْوات من الأجيال البعيدة.
عندما تتبعنا لانهائيتـك وتحملنا بعيدًا بعيدًا.
لا الموجود ولا ذاك الذي كان. لم يَبْقَ إلا تلك اللحظة الأبدية.

بيركلي 1980

من ديــوان
«أرض بعيدة المنال»

(1986)

أنّـا لينا

«حدث لي أحيانا أنني كنت أقبّـل في المرآة انعكاسات وجهي؛
تخيلت فيه وجه «أنّـا لينا» ودموعها، واعتقدت أن وجهي وجه
إلهي جميل استضاءته زرقة حلوة»

و. ميووش: L'Amoureuse initiation

راق لي يا أيتها المخملية «أنّـا لينا»، السفر الطويل في دلتا ساقيْكِ.

والسعي في النهر الجبلي نحـو قلبـك النـابض، عـبر تيـارات أكثـر ضراوة مشبعة بضوء الشعير والنباتات المتسلقة السوداء.

وضحْكنا العنيف المنتصر وارتداء الملابس السريع تحـت جُـنح الليـل كـي نذهب عبر الدرجات الحجرية إلى أعلى المدينة.

وتنفس الصعداء نُحسُّه من الدهشة والصمت، حيث مسام الأحجار الرثة وباب الكاتدرائية الكبرى.

ومن خلف بوابة بيت كاهن الرعية بقايـا حجـارة وأعـشاب ضـارية، وفي الظلام نلمس سور سفح شديد الانحدار الخشن.

ثم النظر فيما بعد من فوق الجسر إلى أسفل نحو الحدائق الغناء، عندما تبدو كل شجرة تحت أشعة القمر متفردة في ركوعها، ومن المكان الداخلي الخبيء لأشجار الحوْر تسمع دقات أصداء توربينات مائية.

لمن نقول ما الذي حدث لنا فوق الأرض ؟ ومن أجل من نضع المرايا الضخمة في كل مكان ، على أمل أن تملأ الكئوس المترعة ما دامت سوف تبقى كما هي؟
دائما نحن واثقان أو أنني وأنت «أنـــَّا لينا» كنا واثِقَيْنِ من أن العشاق مجهولي الأسماء يبقون فوق الشواهد الملتمعة لعالم من السحر.

بيركلي 1967

شــتاء

الروائح الحريفة من شتاء كاليفورنيا،
الرمادي والوردي، والقمر الرّهيف يقـترب من تَمامه.
أضع قطع أخشاب الشجر في المدفأة، أشرب وأفكّر.

عندئذ كنت أقرأ الأَنْباء:
«مات في «إيلاوا» عن عمر يناهز 70 عاما «ألكسندر ريمكييفيتش، شاعر»
كان أكثرنا شبابا في مجموعتنا، تعاملت معه باستخفاف قليلا،
تماما كما استخففت بكثيرين بسبب عقولهم المتدنية
على الرغم من أنه ليس بمقدوري أن أتحسس فضائلهم.

وهكذا إذن أنا هنا، عندما تقترب نهاية
القرن وحياتي. أشعر بالكبرياء من قوتي
ومن وضوح الرؤية الخجلي.

الطليعية المختلطة بالدماء.
رماد الفنون التي لا تقبل التصديق.
معروضات فَوْضوية متحفية.

لقد كنت حَكَمًا. مع أنني كنت من أولئك المعروضين للبيع.
هذا العمر لم يكن طليق المحيا وقويًا.
أعرف ما الذي يعنيه أن تنجب المسوخ، وأتعرف فيها على نفسي.

أنت أيها القمر. أنت يا ألكسندر. يا نيران أشجار الأرز.
المياه تنساب متدفقة من تحتنا، ويبقى الاسم للحظة.
ليس مهمًّا أن نبقى في ذاكرة الأجيال.
كانت كبيرة تلك المطاردة بكلب صيد، لمعنى العالم بعيد المنال.

والآن أنا مُهَيّأ لمواصلة العدْو
عند شروق الشمس خلف حدود الموت.
وأرى في تلك الآونة سلسلة تلال الجبال في شِبَاكِ السماوات
حيث ينكشف خلف ماهية كلِّ شيء ماهية جديدة.

أنتِ يا موسيقى آخر سنواتي،
الصوت واللون الأكثر اكتمالا يناديني.

أيتها النيران لا تنطفئي.
اقتحمي حلمي،
عشقي.
ولتبْقَ إلى الأبد المواسم الفتية لشتائي.

بيركلي 1984

عـام 1913

بعد رحلتي إلى إيطاليا وصلت عند موسم الحصاد.
في هذا العام 1913 كانت آلة حصاد «ماك كورميك»
تحصد للمرة الأولى حقولنا،
تاركة الأرض مُشَذَّبة بعد الحصاد
أفضل من المنجل أو حاصد القمح اليابس.
في القطار نفسه بالدرجة الثالثة
سافر «يوسيل» مستأجر أرضي إلى أقاربه في «جرودنو».
تناولت العشاء في بوفيه محطة قطار «جرودنو»،
وعند المائدة الطويلة ، تحت أشجار المطاط .
تذكرت جسرًا عاليا فوق نهر «نيمين – Niemen»
وعندما تخطّى القطار ممر جبال الألب.
أيقظني خرير المياه المتلألئ
في اللون الأزرق الرمادي
في هذه المدينة حيث يكون المسافر منسيًّا أيًّا من كان.
في غمار مياه «Lethe» شاهدت المستقبل.
فهل هذا هو قرني؟ قارة أخرى وأنا واحد من أحفاد «يوسيل»
فوق أرض أخرى نجلس نتـناقـش
حول أصدقاء الشاعر – مرة أخرى – مؤتنسين،

فتيٌّ مرة أخرى، ولكن هويته تتطابق مع ذلك الذي عاش منذ أمد بعيد.
في أسهال غريبة، وفي شارع غريب
وأنا، ذلك الذي ليس قادرا على أن يتكلم عمّا يعرفه
لأن الدرس من هذا كله ليس للأحياء.
أغلقت عينيَّ وكان وجهي موجّهًا نحو الشمس
هنا، الآن، أحتسي القهوة في «پيازا سان ماركو-Piazza San Marco »

بيركلي 1982

إعـــداد

ما يزال ثمة عام واحد للإعداد.
في الغد سوف أبدأ العمل فورا في كتاب كبير
وسوف يبدو فيه قرني الزمني كما كان.
الشمس سوف تـشرق فيه للجميع : للصالحين و للأشرار،
وفصول الربيع والخريف سوف تتوالى دون أخطاء،
أما الطائر المغرد فسوف يشيِّد عشَّه في شجيرة مبللة مغطاة بالطين
والثعالب سوف تتعلم الطبيعة الثعلبية.

هذا باختصار فقط. وفضلا عن ذلك: الجيش
المهرول فوق الأراضي الجليدية، حيث يصرخون باللعنات
مع أصوات متعددة كالجوقة: إنها أصوات مدافع الدبابات
تتضخم عند زاوية الشارع؛ والمسيرة عند الفجر
ما بين برج المراقبة وأسلاك المعسكر الشائكة

كلا، لن يحدث هذا في الغد. ربما بعد خمسة أعوام، أو عشرة.
دائمًا ما كنت أفكر كثيرًا فيما تفعله الأمهات
وأتساءل عن ذلك الإنسان الذي وُلِدَ من ضلع امرأة.
حين يلتف داخلها حاميًا رأسه

حيث تركله الأحذية الثـقيلة؛ يحترق داخل مشاعل النيران البيضاء
ويعدو؛ تسحبه «الجرافة» نحو القاع الطيني.
وطفلها في أحضان الدب حيث تحبل به في نشوة.

لم أتعلم بعد الكلام كما تحتمه الضَّرورة، بهدوء!

بيركلي 1984

الـوعـي

1- احتضن الوعي في داخله كل شجرة «بتولا» بمفردها
وغابات «نيوهامبشير» المغطاة في مايو بالغيمات الخضراء
تزْدحمُ فيها وجوه بَشرٍ لا حَصْرَ لها كمسارات الكواكب
وتعرف ذلك الذي كان وينبيء بما سوف يكون.
ينبغي عندئذ دون تعجل ألّا تثـق بأحد،
وأن تـقتلع من الوعي ما تـتمكّن منه اللغة، فهي ضعيفة حيال ذلك.

2- جزر الأحياء الحارّة الغريبة غير الضرورية
تجدد أوراقها، والطيور تمارس جماعها
دون معونة من أحد. وشخصان عند شاطئ النهر
بعد قليل ستـلتـقي شفاههما، لأن ما يربطهما قوىً مجهولةُ الاسم.

3- أظن أنني هنا فوق هذه الأرض،
لأكتب تقريرا عنها، ولكنني لا أعرف لمن أقدمه.
فلو أنني قد أرْسِلـْتُ، فما الذي يمكن أن يحدث فوقها
هنا يصبح للأمر معنىً، فقط لأن هذا سيستحيل إلى ذاكرة.

4- البُدَناءُ والنُّحَلاءُ، المسنون والفتيان، هنَّ وهـم
يحملون حقائبهم وأمتعتهم، يسيرون أرتالا في ممرات المطارات.

فجأة يشعرون، بأن هذا مستحيل،
وبأن هذا مجرد جانب سيء من «كليم/ جوبلين» ما
ومن خلفه يوجد جانب آخر يُفَسِّر كل شيء.

5- الآن، وليس في وقت آخر، هنا، في أمريكا
أحاول مرات عديدة، أن أنتـقي ما هو الأهم لي.
ولا أتغاضى عن شيء، ولا أدين نفسي.

عذابات الفتى الذي أراد أن يكون مهذبا
ولهذا الهدف خسر سنوات ليست بالقليل من حياته.

خجل الاعتراف الهامس أمام شباك الاعتراف القُضْباني الكَنَسيّ،
ومن ورائه أنفاس ثـقيلة وأذن ساخنة.

لقد ارتدى المسخ ثَوْبًا نموذجيًا،
وجانب ضئيل من الشمس في خلفيته أشعة منحوتة.
عندما يتـفانى الرعايا في خدمة السّادة في ليالي شَهْر مايو،
حيث الصلوات والابتهالات للسيدة العذراء،
أمّ الخلق والإبداع.

أنا، بكامل وعْيي، أجمع أوركسترا فرقة من الآلات النحاسية
حيث ينفخ فيها العازفون ذوو الشوارب فوق الرابية.

والمدفع يطلق وابلًا من الرصاص في عيد الفصح ليلة السبت
عند بزوغ الفجر البارد حيث تحمَرُّ وجنتاه بصعوبة.

تروق لي الأثواب المزينة المترفة والأقـنعة،
على الرغم من أنه لم يكن ثمّة مسيح حقيقي مرسوم.

أحيانا أؤمن وأحيانا لا أؤمن
بأولئك الذين يشبهونني لأنه تصل ما بيننا الفضيلة.

عبر المتاهات ذات الأفاريز «الباروكيّة» المذهّبة
أكتشف، ما يسمونه بالقديسين الإلهيـيـن.

أحجُّ مرتحلًا إلى الأماكن العجيبة
إلى المنابع، التي قد شُقّت فَجْأةً في الصخور.

أتلاشَى في هَشاشتـنا وطفولتنا المشتركة.
في الأبناء والفتيات من جنسنا الإنساني.

وأحافظ بوفاء على الصلوات في الكاتدرائية:
يا عيسى المسيح، يا ابنَ الرَّب، أنِـرْ لي الطريق، أنا الخطّـاءُ.

6- أنا، أبدأ عن وعي، من جـلْـدي
الناعم أو المغطّى بأجمةٍ منَ الشعر.

من الخدود الكثة، هضاب الرَّحم، ثَـنيات الفَخْذَين،
وهي ملك لي، على الرغم من أنها ليست ملكا لي وحدي.
ففي هذه اللحظة الأخرى هناك وعيه، أو وعيها.
إنه يختبر جسده بجدّية أمام المرآة
مدركًا، أنه - على الرغم من أن هذا الجسد جسده - إلا أنه ليس ملكا له.

فهل أنا عندما ألمس جسدًا وحيدًا في المرآة
ألمس كل جسد، وبذلك أتفهم وعْيَ الآخر؟

أو ربما ليس هذا صحيحًا، وأن هذا بعيد المنال،
أو أنني أتلمس كل جسد، حيث أتعرف وعي الآخر؟.

7- لن تعرف أبدا ما الذي أشعر به، استطردت قائلة.
ذلك لأنك تملؤني، وأنت غير ممتلئ.

8- دفء الكلاب، والجوهر والمجهول والكلبية.
ومع ذلك نشعر بها. في تراخي اللسان الرطب،
في سوداوية العيون المخملية،
في رائحة الشعر الوبري، المختلفة عن رائحة أقاربي.
فإنسانيتنا عندئذ تصبح أكثر وضوحا،
تصبح عامة، نابضة، كالنخاسة، شديدة التأثير،
على الرغم من أننا بالنسبة للكلاب: كالآلهة

المختـفية داخل قصور الفكر البلّورية،
منشغلون بأنشطة غير مفهومة.

أريد أن أصدق، أن القوى، التي توجد من فوقنا
منشغلة بأعمال هي بالنسبة لنا بعيدة المنال
تلمس أحيانا خدودنا وشَعْرَنا
وتشعر عندئذ في داخلها بضعف الجسد وسريان الدماء.

9- كل طقس، يندهش لاستعدادات البشر.
في أرديتهم التي يتحركون فيها، وهي أكثر تَـحَمُّلا منهم،
في الإيماءات المتجمدة في الهواء، تلك التي يشعر بها من سيولدون فيما بعد

الكلمات الصريحة التي قالها الموتى، ما تزال تقال،
الشهوانيون: أولئك الذين يخمنون مثـلث شعر المرأة التحتي،
ويعدونه حريرا محدَوْدِبًا.
ذلك لأنهم أوفياء فقط لطقسهم، لأنه يختلف كثيرًا عنهم،
إنه يسمو من فوقهم، فوق آلام أغشيتهم الرقيقة،
عند الحدود الـمُبْهَمة ما بين العقل والجسد.

10- يقينا لم أَبُـحْ بما أفكر فيه حقيقة.
ولكن لم كان عليَّ أن أبوح بذلك؟ ألكي أساعد في زيادة سوء الفهم؟
أبوح لمن؟ إنهم يولدون، وينضجون

في لحظات الوقفات الطويلة حيث يرفضون الإصغاء لما سوف يحدث فيما بعد.
على أية حال أنا لن أتجنب أيَّ شيء. كانت حياتي كلها كذلك.
كنت أعلم، لكن لا يمكنني أن أتجنب شيئًا. مع أنه كان من الواجب
الاعتراف بحججهم.
إِنَّهُم لَيْسوا في حاجة إلى الأحياء من أزمنة بعيدة
والتنبؤ بالعذابات، التي سوف يعرفها من سيخلُفهم من بعدهم! .

كامبردج، ماس. 1982

حول الصلاة

تسألني، كيف أصلي لمن هو ليس بموجود.
كل ما أعرفه، هو أن الصلاة تشيد جسرا مخمليا
من فوقها نحلّق طائرين، كالطيران من نقطة الانطلاق
فوق المناظر الطبيعية الملونة بالذهب المعتق
المنتـقل إليها من قرص الشمس الساحر.
هذا الجسر يؤدي إلى شاطيء الانقلاب
حيث كل شيء يصبح على النَّقيض وكلمة «يكون»
تميط اللِّثام عن معنى يصعب تخيله.
فلتلاحظ: أنا أقول «نحن». فيشعر كل واحد هناك بشكل منفصل،
بالتعاطف مع الآخرين، الواقعين في شَرك أجسادهم،
يعرف كل منهم أنه حتَّى إذا لم يكن ثمة شاطيء آخر
فإننا سوف نسير فوق هذا الجسر الهوائي بالطريقة ذاتها.

كامبردج، ماس. 1982

مائدة رقم (1)

هذه المائدة هي الشيء اليقيني فقط. ذلك أنها ثـقيلة. من شجرة قوية متينة.
فوقها نقيم المآدب كما أقام فوقها السَّلف قبلنا
حَيْث نستشعر من لمعانها تلامس أصابعهم.
كل شيء آخر ملتبس مشكوك فيه. نحن أيضا كذلك، نظهر للْعِيان
للحظة مُرتدين شخصية رجل أو امرأة
(لماذا؟ أو.. أو..؟) في أردية محكوم علينا بارتدائها.
أتفحصها كما لو كنت أشاهد وجهها للمرة الأولى.
فيه.. وفيها.. كي أتمكن من استدعائهم.
من أي منْطقة غير أرضية أو مملكة؟
فهل أنا أعد نفسي لأي لحظة؟
كيف لي أن أرحل من جديد إلى الرماد؟
لو أنني كنت هنا، بكـلِّـيتي، أقتطعُ اللحم
في تلك الحانة الريفية الواقعة فوق اهتزازت البحر الرائع.

بيركلي 1983

هويتي

«أبواي وزوجي وأخي وأختي».
أتناول الفطور في مطعم بلا نـُدُلٍ وأنا أسترقُ السمعَ.
إلى أصوات النساء الهامسة، وهن ينجزن
التراتيل الطقسية التي نحن في حاجة إليها.
وَبِطَرْف عيني أنظر إلى الشفاه المتحركة
وأشعر بمُتعة أنني هنا فوق الأرض،
من أجل لحظة، معا، هنا فوق الأرض،
كي أحتفل بهويتنا المتواضِعة.

آن أربور 1983

شاعر في السبعين

أنت هنا يا أخي في عالَـمِ اللاهوت،
عالَـمِ السَّماوات وجهنم،
تتـنبأ كل عام متـقنا فنك
عندما تتعمق في كتب الحكمة وتتأملها،
لتصل فيها إلى آخر باب من أبوابها.

آهٍ، هل شعرت بكثير من الخِزْي،
لأن فكرك البارِع مليء بالخدع،
بحثت عن السلام بين البُيوت البشرية
ولكنها كالسُّفن المبحرة، أبحرت
والهدف والميناء مجهولان.

في البارات الريفية تجلس مُـحْتسيًا النبيذ،
تعشق الصخب والضجيج من حواليك،
الأصوات تتزايد ارتفاعا فهبوطا
كموسيقى «البيانولا».
فكيف لك أن تفكر في الأسباب والمسببات.

تبهجك الأرض الحزينة،
والشراب المعد خصيصًا للعشق،
له قوة سحرية يتغير فيها القلب
عبر العويل والبكاء على السيد المسيح في أيام الصِّيام الكبرى،
هكذا تـتعلم التسامح.

شرهٌ، عابثٌ، مذهول،
كما لو كان الموت لا يسعى إليك
تعدو مُبْصرًا متأمِّلا في عجائب الأرض.
في مَسْرح الجَسد الكاذب
المتغيِّر كل يَوْم وكل ساعة.

في صِبْغات رموش العين وأحمر الشِّفاه التي تـشاهدها
في الحرير المزيَّنِ بالريش،
في لغة الطير الممتلئة بالمودَّة
مُدَّعيا بأن هذا ما تطلبه الطبيعة.
حاول أن تفهم أيها الفيلسوف.
فحكمتك كلها جاءت من لا شيء
مع أن سنوات عمرك قد انقضت في البحث،
ولا تعرف اليوم ما الذي تفعله حيال ذلك:
لأن الـشَّرابَ القويّ، والجمالَ العظيم، والحظّ
تـتحسر على تركها جميعها.

بيركلي 1982

تسلسل التاريخ

(1987)

هذا فقط

دلتا ومن ورائها غابات ذات ألوان خريفية.
حيث يصل الرَّحالة، والخريطة تـقود إلى هنا.
ربما تكون الذاكرة. مرة من سنوات بعيدة، في الشمس،
عندما سقط الجليد للمرّة الأولى، وكان سائرًا من هذه الناحية
شعر بالبهجة وبالقوة، بلا أسباب،
بفرحة العيون. كان كل شيء إيقاعًا متآلفا من
الأشجار في انتـقالها والطائر في طيرانه،
والقطار فوق الجسر، عيد من الحركة.
يعود بعد سنوات، بلا مطالب.
يريد شيئا واحدا فقط، شيئا ثمينا:
أن يُـرَى، ببساطة ونقاء، بلا تسميات،
بلا انتظارات ، بلا آلام وآمال،
عند الحدود حيث ينتهي «أنا» ولا «أنا».

هادلي الجنوبية 1985

في جَـرَّةٍ

الآن بكل ما أملكه من رؤية، أيُّها السَّمَندل البحري المحترم
أقترب من الجَرَّة التي أسكن فيها
وأنظر كيف تسبحون رأسيا نحو سطح المياه
نشاهد بطونكم، حيث اللون
القرمزي، المشع، يوثق تـقاربكم العائلي
بالسَّمندل الكيميائي القديم الذي يحيا في النيران.
وربما يكون هذا هو السبب في اصطيادكم
في «البـِرْكـَةِ» من بين أشجار الصنوبر، حيث تركض السحب في سماء الربيع
وحملتكَ في وعاء معدني إلى المدينة منـتـشيا في كبرياء بسبب غنيمتي.
لقد تلاشيتم منذ زمن طويل، ففكرت مليا في اللحظة
التي عِشْتُم فيها ساعات وسنوات عن غير قصد.
أتوجه إليكم، أَمْنَحُكم وجودا،
اسمًا أَوْ لقبًا في إمارة قواعد اللغة،
كي أحمي نَسْلَكُم من الإبادة.
بنفسي بلا ريب، بالقوة الممنوحة لي والتي تراقبني
وتـنقلني إلى بعض الأشكال المتجاوزة قواعد اللغة،
وأنا في انتظار على أمل أن تختطفني وتحملني
لأبقى أخيرا مثل السمندل الكيميائي في النيران.

هادلي الجنوبية 1985

بورتريه مع قط

فتاتي تـتفحص كتابا بداخله صور قطة،
فوق ظهرها شعر ناعم بلون الزغب وثوب نسائي مخملي الاخضرار.
شفاهها، شديدة الاحمرار، شبه مفتوحة في نظرات حالمة حلوة.
حدث هذا في 1910 أو 1912، فاللوحة دون تاريخ.
رسمتها «ماريوري س. ميرڤي»، أمريكية،
وُلِدتْ في 1888، تشبه أمي، ربما قليلا أو كثيرا.
أنظرُ إلى اللوحة بمدينة «جرينيل»، في ولاية «أووڤا»،
عند نهاية القرن.. هذه القطة بلونها الزغبي
أين هي؟ والفتاة؟ هل قابلتها يوما ما،
واحدة من تلك المومياوات الوردية اللون تسير بِعَصاها؟
والوجه: أَفْطَس الأنف، مُسْتَدير الوجنتين،
لقد هَزَّتني من داخِلي، كَوَجْهٍ يستيقظ
في وسط الليل، وجدتـهُ بجانبي فوق الوسادة.
فإن كانت القطة غير موجودة، فهي موجودة في الكتاب، والكتاب في اللوحة.
والفتاة غير موجودة. مع أنها هنا أمامي،
لم تـفْـتـقدْ على الإطلاق. لقاؤنا حقيقي
في دائرة الطفولة: إعجاب يُـسَمَّى حُبًّا،
وتفكير في اللمس، والقطة ترقد في جلدها المخملي.

بيركلي 1985

مريم المجدلية وأنا

سَبْعُ أرواح غير طاهرة لـمَرْيم الـمَجْدليّة
منفية منها بفضل صلوات المعلم
حيث ترتفع في الهواء عبر طيران خفاشي،
في الوقت الذي كانت فيه إحدى قدميها ملفوفة
والثانية منثنية عند الركبة، تجلس محملقة
بإصبع قدمها الكبير والصندل الروماني
كما لو أنها تشاهد شيئا غريبا للمرة الأولى.
شعرها الكستنائي ملتفٌّ في خصلات مستديرة
يغطي ظهرها، شعر قوي شبه رجالي،
موْضوعٌ فوق الكتفين مع رداء داكن الزُّرقة،
يظهر من تحته عُرْيها الذي يومض كالفوسفور.
الوجه متثـاقل، الرقبة، الصوت غائم،
منخفض، به بحّة، كما لو كان صوتًا أجشّ.
ولكنَّ الصوتَ لا يقول شيئا. دائما ما بين
عُنْصُرين: أَوَّلهما الجسد وثانيهما عنصر الطبيعة،
والأمل، سوف يَبْقى، حيث يوجد في زاوية اللّوحة
اسم الرّسّام الذي اشتهاها.

بيركلي 1985

كيف ينبغي أن يكون في السماء / الفردوس

أعرف كيف ينبغي عليه أن يكون في السماء/ الفردوس، لأنني كنت هناك
أحيانًا
في أنهارها، وأنا أصغي إلى الطيور.
في مواسمها: صيفًا، قليلا بعد شروق الشمس.
استيقظتُ مَـخْطوفًا وهَرْوَلت نحو الآلاف من شواغلي،
والحديقة كانت فوق مستوى الأرض، مستسلمة للخيال.
قضيت حياتي أؤلف تمائم إيقاعية،
هذا الذي حدث لي عن غير وعي
كنت أسعى إليه لاهثا بلا انقطاع
الاسم والشكل، مُعْتقدًا أن حركة الدماء
ينبغي أن تكون حركة منتصرة دائما
ينبغي أن تكون أعلى درجة.. تشبه رائحة الزهرة العطرة.
ورائحة الجرجير القُلُنْسويّ والنحل والفراشات المستيقظة،
هل عطرها أكثر نفاذا من ذلك الذي يوجد هنا،
ينبغي عليهم أن يتوجهوا نحو ماهية الهدف، إلى مركزه
خلف متاهات الأشياء. فكيف يمكن للعقل
أن يوقف اصطياده، من لا نهائيته
آخذا في الاعتبار هذا العالم المسحور، والغرابة، والوعود؟

ولكن أين سيكون، ذلك الطريق المميت لنا؟
أين الزمن، الذي يدمرنا وينقذنا في الوقت نفسه؟
هذا صعب للغاية بالنسبة لي. هذا السلام الأبدي
لا يمكن أن تكون له إصباحات وأماسيٌّ.
وهذا يعبر بشكل كاف على النقيض منه.
وهذا أمر شاقّ يشبه البندقة التي تَكسرُ أسنانَ عالمِ اللاهوت.

روما 1986

إنها الكتب

إنها الكتب؛ ستوضع فوق الأرفف، باعتبارها كائناتٍ حيَّةً،
بَدَتْ مَرَّةً، طازجة، وما تـزال رطبة بعد،
شبيهة بالكِسْتناء الـمُلْتَمع تحت أشجار الخريف،
حين تلمسها، تتدلل، وتبدأ مسيرة حياتها
على الرغم من أن النيران في الأفق، والقلاع تـتـفجَّر في الهواء،
لكن القبائل في مسيرتها، والكواكب في حركتها.
«نحن نكون» - تستطرد الكتب، حتَّى عندما تُـنْـتَـزَعُ منها الصفحات
أو عندما تلعق الحروفَ المشاعلُ التي تطن.
لكنها أكثر استمرارا منا، نحن الذين نملك دفئا واهِنًا
يَـخْفتُ مع ذكرياتنا، ويتـشتت، ويضيع.
أتخيل الأرض عندما لن أكون
لا شيء سيحدث، لا شعورٌ بافتـقادي، وسوف تستمر الأبهة الفارغة،
أردية النساء والياسمين الـمُندّى والأغاني المسموعة في الوادي.
لكن الكتب ستبقى فوق الرفوف، ستولد ولادة حقيقية،
من البشر، ولكن أيضا من الإشراق، ومن القمم.

بيركلي 1986

في وداع زوجتي «يانيـنا»

النساء النائحات يمنحن النارَ أختـهُـن
والنار؛ هذا الشيء نفسه نظرنا إليه معا،
هي وأنا، في زواج السنوات الطوال،
المستند على القسم بالحياة معا سواء خيرها وشرها،
بجوار مِدْفآت الشتاء، والمخيمات، ونيران الـمُدن الـمُحْترقة،
وكل ما هو جوهريّ، نقيّ، من بدايات كوكب الأرض،
حيث احترقت الشعور الغزيرة، الرَّمادية،
حيث أمْسِـك بشفتيها والعنق، لتبتلعها النيران،
حيث تشير إليها اللغة الإنسانية بالحب.
لم تعد لديّ الرغبة في الكلام أو في تلاوة كلمات الصلاة.

أحبها، وأنا لم أعرف من هي حقيقة.
آلمتـُها ، لاهثا وراء وَهْمي.
كنت أخونها مع النساء، وكانت الوفية الوحيدة لي.
عشنا معا حياة بها كثير من السعادة وكثير من الشقاء،
والفراق ومعجزة الإنقاذ. والآن هذا الرماد.
والبحر المتلاطم مع الشاطئ.. وأنا أسير في الشوارع التي تكتـنفها
الأشجار.

والبحر المتلاطم مع الشاطئ. والأسى المألوف.
كيف يمكن للمرء أن يقف بالمرصاد ضد الدمار؟
ما القوة التي تحافظ على ما كان، إذا لم تستمر الذكرى؟
أنا لا أتذكر الكثير.. أتذكر القليل للغاية.
عجبا، فإعادة تلك اللحظات تعني يوم القيامة.
نحتاج فيها إلى الشفقة التي تؤجل الحكم يومًا بعد يوم.

النار، تُـحَرِّرنا من جاذبية الأرض.. فالتفاحة لن تسقط فوق الأرض.
والجبل سوف يتحرك من مكانه. وخلف الستار الناري
يقف الحَمَلُ الوديع في المروج التي لا تُـدَمَّرُ أشكالها.
فالأرواح في المطهر تحترق. و«هيراقليطس» المخبول،
ينظر نحو المشاعل التي تتآكل فيها ثوابت العالم.
فهل أؤمن أنا بِعَوْدةِ الروح لهذه الأجساد؟ ليس من هذا الرماد
أستدعي، أستعطف: قم بحل عناصرك الأولى!
إنه يتطاير داخل الآخر، فلتأت إلى المملكة!
خلف النيران الأرضية، قوموا بإعادة تركيبها من جديد!

بيركلي 1986

خط سكة حديد ترانس - سيبيريان -

سافرت بقطار خط حديد (ترانس سيبيريا) إلى «كرانسنويارسك» مع ممرضتي الليتوانية، وأمي، وعامين من المواطنة العالمية أشارك في عصر أوروبا الموعودة.
كان أبي يصطاد الأيائل في جبال «سايان» السيبيرية.
بينما تعدو «إيلا» و«نينا» فوق الشاطئ الرملي في «بياريتس».

أجل، هذا ما حدث في عام 1913. آنذاك مرت مائة عام يُنْظَرُ إليها بعين الاعتبار كمدخل لمعرفة أوروبا الحقيقية، بل واعتبارها عصرًا كوزموبوليتانيًا (عالميًّا). فالرومانسيات الفرنسية الموجودة داخل الأغلفة الصفراء كانت تُقرأ عند أنهار «الدانوب» و«الفيسوا»، و«الدنيبر» و«الفولجا». وكانت آلاتُ حَصاد «ماك كورميك» تعمل في حقول «أوكرانيا». وبصعوبة أصبح «أوسكار وايلد» من أكبر الأسماء المُحبّة للجمال والفنون، أما الشَّباب المتمرِّد فرأوا في «والت وايتمان» رَسولًا لتحرير الجماهير، والبوهيمية الباريسية التي تعلمتِ الكثير من لغز الروح السُّلافية داخل «الباليه الروسي» وروايات «دوستويفسكي». ومرة بعد الأخرى يحج شاعر متأنق من ڤيينا إلى موسكو، تلك المدينة المقدسة، كي يستمع فيها إلى أصوات الأجراس. وتلتقي البلدان المجاورة صيفًا عند مياه «مارينباد» أو عند ساحل «الكوت دازير» « Cote

d'Azur »، حيث ترسل العائلات أبناءَها من الفتيات والصبية المصابين بداء السل إلى المصَحّات في «داڤوس». أما الشُّعراء فيبدأون في الوقت نفسه تمجيد «القطارات السريعة»، بل يكتب أحد أولئك الشعراء قصيدة «La Prose du Transsiberein». وتشهد عيناي آنذاك في «سانت بطرسبرْج» أول عربة «أوتوموبيل» مصقولة باللون الأسود اللامع؛ حيث أضع قدمي فوق درجات سلمها، وبعد ذلك تخترق هذه العربة جبال «الأورال»، كنت أحيا في توافق مع روح العصر. عندئذ قام هذا المهندس الشاب «ألكسندر ميووش»، خريج كلية العلوم الهندسية في «ريجا»، بصيد الحيوانات في «تايجا» عند جبال «سايان»، حيث نهر «يينيشي» في مجراه العلوي الذي ينساب نحو الشمال، تجاه خط الاستواء والمحيط الجليدي. كانت هذه فترة تكاثر حيوان «الأيل» السيبيري المسمَّى «مارالا»، فَضْلًا عن أن الصَّدى المدوِّي ارتفع ليعكسَ الأصواتَ النَّابعة من مُنْحَدرات الغابات، حيث تنتشر أشجار «البتولا» اللَّيْمونية - الصفراء، تقوم هنا وهناك بِتَنْويع ظلام أشجار «الأرز» الخضراء. كان الفتي الشاب خفيفًا يقفز بمهارة مُتَخطِّيًا المستنقع المُغَطى بالأحجار الضخمة، ويتنفسُ هواءَ الخريف البارد الممتزج بالبهجة. ونحن تقريبًا نتوحَّد به الآن، كدت أشعرُ بدبيبِ ذعره، بتشنجٍ بديع، ويقين من أن لحظة انطلاق السهم لا تستخف بصاحبه. وربما تكون عالمية حواسنا الكثيرة هي التي تجعلنا نشعر فيها بأننا جزء لا يتجزأُ من الجنس البشري، يكفي أن تجعلني ولو للحظة «أيلا» ذا خمسة عشر عامًا، عندئذ تهرولُ هي للقاء أمواج الأتلانتيك المرتفعة المجتمعة! أو عندما تقف عاريةً أمام المرآة، تفك ضفائرها السوداء،

الرائعة، عن وَعْيٍ منها، بأنها رائعةُ الجمال، تلمس الدائرة البنيّةَ فوق ثدييها ولفترة قصيرة تنكشف لحظات من الوحي، الذي يجعلها تستبعد كل شيء، كل شيء علّموها إياه: الانحناءة، الالتواء والتَّثنّي، الياقات البحرية، التنورة، أَدَبُ الموائد، مربيّات الأطفال، عربات النوم في القطارات، السادة أصحاب الشوارب الـمُمَشَّطة، النساء في مشدّات الخصْر والرِّدفين، اللائي قيل عنهن: «سيدات» أو «نساء عجائز بمكياجهن المبالغ فيه»، رسائل الآثمين قبل الاعتراف، دروس الموسيقى، الأفعال الفرنسية، الادعاء بِالبُدائيّة، الأدب في مواجهة الخدم، معرفة حساب المهر. هل أُفشي بسر؟ : لم يكن الأمر هكذا، بل كان مختلفا تماما. ليس ثمة ضرورة للتحدُّث عن ذلك، فقط التحدث مع نفسك. كم هو رائع أن تلمس أَحدًا ما، ولا تبوح له بأي شيء على الإطلاق، ففي كل مكان، في الشمس، في الغيوم البيضاء فوق البحر، في صخب المد والجذر، في الجسد الذاتي، سوف تشعر بشيء كهذا: مع اختلاف كبير.

بيركلي 1985

العرض الأول
(1913)

ضبطت الأوركسترا نغماتِ آلاتها الموسيقية كي تعزف «الربيع المقدس».
أتسمعون مسيرات آلات النفخ، دمدمة الطبول والصنوج؟
يصل «ديونيزوس»، بعد نفيه الطويل يعود.
انتهى حكم « الجاليليّين ».
وبِالتَّدْريج يصبح أكثر شحوبا، غيرَ مُكْتَسٍ باللحم، أشبهَ بالقمر،
إنه يذبل متلاشيا، مبقيا لنا كاتدرائيات مظلّمة
زجاجها المعشّق ملوَّن بألوان مائية، وأصوات أجراسها ترتفع عند «الرفع المقدس».
رابين النبيل، الذي أعلن بأنه سوف يحيا إلى الأبد
وينقذ أصدقاءه، موقظا إياهم من الرماد.
يصل «ديونيزوس»، إنه يومض، مُذَهَّبًا من بين خرائب السماء.
بكاؤه، نشوة أرضية، وصدى بكائه تمجيد للموت.

بيركلي 1985

ست محاضرات شعرية

المحاضرة الأولى

كيف لي أن أقول ذلك كله؟ لأي سجلات تاريخية أشير عليكم بها؟
فلتتخيلوا شابا ، يسير بجانب ضفة النهر
بعد ظهر يوم قائظ الحرارة. يتباهى كالزجاج،
عند عشب البـِرْكة، كعادته. ولكنه لا يوجد
لا شيء كما كانَ يحدث.. أتفهمون: لا شيء.
وربما يكون، ولكنه ليس محققا:
أن الأجسادَ مخصصة للجروح، والمدنَ للفَناء،
آلامٌ لا تـُحْصَى، كل منها مختلف،
أسمنت لأفران إحراق الجثث، والدول للاقتسام،
لقد سحبوا القرعة واختاروا القتـلة: أنت، وأنت، وأنت.
نعم.. الطائرة النفاثة.. الترانزيستور.. الڤيديو.
بشر فوق أرض القمر. هذا يسير ولا يعرف إلى أين.

إنه يقترب من جدول المياه، وكأنه يقترب من «البلاج».
فالرفقة في عطلتهم الصيفية يسكنون قصرًا صغيرًا يأخذون فيه حماماتهم الشمسية،
السادة والسيدات، يشعرون بالملل فى أحاديثهم :

عَمَّنْ ينام مع من، عن البريدج والتانجو الجديد.
هذا الإنسان الشاب، هو أنا.. كنتـُه، وربما أكونه
على الرغم من أنه قد مرَّ نصف قرن من الزمان. إنني أتذكر ولا أتذكر ،
أتذكره وأتذكر غربته. إنه ليس كالآخرين، غريب، غريب.
وهم مسجونون في عقله، إنهم كالطيف، يتلاشون،
إنه يزدريهم، القاضي، المراقب.
هذا الذي يُعَـدُّ مرض القرن المراهق
يتكهن بالمرض التاريخي للعصر،
والذي لن يكون له نهاية جيدة. لماذا عن غير وعي
يستحقون عقابا: لأنهم أرادوا الحياة، لا أكثر.

موجة، قطع مُتَكَسِّرة من الحصى، سُحُبٌ بيضاء.
وراء المياه سفوح القرية، الغابة، والخيال،
فيها مدينة يهودية، قطار يعبر السهل المنبسط.
يا آبيس. الأرض تميل. أيحدث هذا الآن فقط
عندما أفتح هنا مَتاهات الزمن،
وكأنني أتعرف على ما يعنيه الإدراك
ومن وراء النافذة الطيور الرنانة تتراقص؟
كان ينبغي عليّ فعله.
ما الذي كان ينبغي عليّ فعله، منذ خمسين عاما مضت؟
أن أحيا في بهجة.. في تناغم.. في أن أؤمن.. بسلام.
كما لو كان هذا ممكنا. وفيما بعد أتعجب:

لماذا لم أكن حكيما؟ يبدو الأمر في حلقات متسلسلة
أتلعب المسببات والنتائج دورها؟ كلا، هذا أمر مشكوك في صحته.
فذلك المسئول سوف يكون كلَّ مَنْ تـنفسَ.
هواء؟ لا أفهم؟ وهْم؟ فكر؟
ككل شخص، عاش هناك وعندئذ، أنا لا أرى بوُضوح.
سوف أعترف لكم أنتم، يا طلابي الشباب.

المحاضرة الثانية

الأمهات الحساسات والأخوات، والزوجات والعاشقات.
فكِّروا فيهن. لقد عشن وكانت لديهن أسماء.
رأيتهن عَلى شَواطئ بحر الأدرياتيك
في ذاك الوقت، ما بين الحربين، رأيت فتاة جميلة،
إلى الحدّ الذي أردت فيه أن أوقفها في لحظة لا عُدولَ عنها.
نحولها متوائمٌ مع زِيٍّ من حرير حقيقي
قبل ظهور عصر المواد الاصطناعية، فاللون أُرْجواني ،
أو لازوردي. والعيون بنفسجية،
والشعور شقراء، خمرية اللون خفيفة: إنها ابنة أحد النبلاء،
ربما تعود أرومتها إلى عشيرة الفرسان، تمشي الهوينى.
والشاب ذو الشعر المموه، متأنِّقٌ مثلها،
إنهم يخدمونها وكأنهم حاشيتها. «سيرجيد» أو «إنجي»،
من بيتٍ تفوح منه رائحة السيجار والمنزلة الرفيعة والنظام الكهنوتي.

«لا تذهبي، أنت أيتها المخبولة.. اختبئي داخل تماثيل كهنوتية
فلتحتمي في موزاييك الكاتدرائيات، في نَدَىَ الشَّفق الذهبي اللون،
ابقيْ كرجع الصدى فوق المياه عند غروب الشمس.
لا تضيعي نفسك، وطقسَ القبـيلة».

كان عليَّ أن أخبرها بذلك.. جوهر الشيء؟ شخص؟
روح غير متكررة؟ ويوم الميلاد

ومكان الميلاد، نظام النجوم،
وهي تراقب من سيكون؟ كي يغويها
حب التقاليد، إذعان العفة؟

ومع ذلك فقد أخطأ «دانتي». فلا يمكن أن يحدث الأمر على هذا النحو.
فالحكم جماعي. إدانة أبدية
كان عليها أن تلتقي بالجميع، أجل، الجميع.
وبدا هذا مستحيلا. فالمسيح أمامه إبريق زهريّ، قهوة، متفلسفون،
أفق ريفي رحب، دقات الساعة عند برج ميدان المدينة.
لا أحد على يقين، الفـقر مدقع والعيون سوداء،
الأنف أجدع، في أردية مرقعة
أسيرٌ أم عَبْـد، إنه واحد من أولئك الصعاليك،
الذين يشيدون الدولة ويدمِّرونَها.
الآن عندما أدركت الكثير، عليّ أن أغفر
عليّ أن أتسامح، فَأَخْطاؤهم قريبة من أخطائي:
أردت أن أتساوى مع الآخرين، ليمكنني مثلهم:
أن أغلق أذنيَّ، وَألّا أصغي إلى دعوات الرسل.
ولذلك فأنا أتفهمها. البيت المحكم، الاخضرار،
وفي أعمق أعماق الجحيم: مقطوعات «سباستيان باخ» الموسيقية.

المحاضرة الثالثة

البشرية المسكينة ترقد فوق أراضي محطات القطار.
في «بيريهات» تغطي الأذنَ أطرافُها، شالات، وجاكتات مبطنة بالقطن،
وجلود رخيصة.
ينام ملتصقا بجوار أمثاله، منتظرا القطار. تهب الرياح الباردة من تحت
عتبات الباب.
يأتي جدد، ينفضون عن أنفسهم الجليد، ويتشكل الوحل.

أعرف أنكم لا تملكون معرفة «سمولينسك» أو «ساراتوف».
وعلى أفضل الأحوال. من القادر الذي يمكن له أن يتناسى
التعاطف، ألمَ الخيال؟
لن أكون إذن دقيقا. إنها مجرد مقاطع، خطوط عريضة.

تبدو أكثر. إنهم أربعة. ثلاثة رجال وامرأة.
جلود أحذيتهم ناعمة، من أعْلى رُتْبة،
ستراتهم مكسوّة بالفراء الثمين. الحركات متعجرفة مغرورة.
وكأنهم يقادون من خلال مقود كلبة ذئبة. فلتنظروا إليها،
إنها كبيرة. يغلب عليها النعاس. تـتناكح بشكل جيد،
تنظر باحتقار من تحت «قبعة» القندس.

ألا يثبت هذا بوضوح لمن تـتبع السلطة هنا،
من يحصل على الجائزة؟ أيديولوجية،

إذا كان ثمة من يفضل تلك التسمية. إنها للاشيء هنا إذا اعترفنا بذلك،
دائما مختـفية من بين جمل طقوسية،
مع أن الخوف حقيقي، والبشر ممتـثـلون،
حيث يأتي هؤلاء الأربعة، من بين العاصفة الثلجية،
حيث أسلاك شائكة حقيقية، وأبراج المراقبة داخل المعسكر.

في مؤتمر الدفاع عن الثـقافة في باريس،
خريف 1935، صديقي الطالب
المرتحل عبر أوروبا، «جيتشر» من «ماربورج»
ابتسم.. معبود «ستيفان جورج»،
سطَّرَ أشعارا حول شرف الفروسية
حمل في جيبه كتاب «نيتشة».
كان من المتوقع أن يموت، ربما في «سمولينسك».
من أية طلقة؟ واحدٍ من أولئك النائمين؟
من حارس الكلاب؟ من السجنِ خلف الأسلاك الشائكة؟
من «ناديا» أَو «إيرينا»؟ اللتين لم يكن يعرف عنهما شيئا.

المحاضرة الرابعة

ذلك الواقع، ما الذي نقوم به تِـجاهَه؟ أين مكانه في الكلمات؟
أ في اللحظة التي يومض فيها حيث يختـفي.. حيث الحيوات التي لا تُعدّ
أو تحصى
لم تـُذكر أبدا. المدن فوق الخرائط
دون وجه في الطابق الأول بالمنزل عند السوق،
دون وجودها في الأدغال بالقرب من حقل الغاز.
المواسم العائدة، الجبال الجليدية، البحر،
تلف وتدور حول الكرة الأرضية الزرقاء،
ويصمتون، أولئك السائرون نحو نيران المدفعية،
يتساقطون فوق الكتل الأرضية، كي يقوموا بحمايتها،
أولئك الذين نقـلوا من البيت في الفجر،
وأولئك الذين زحفوا فوق بطونهم بأجسادهم الدامية.
وأنا هنا، مهندس النسيان،
أشعر، أن الألم يزول (لأنه ألم الآخرين)،
وفيما بعد أحاول داخل فكري إنقاذ الآنسة «يادفيجا»،
ذات الحدبة، مهنتها عاملة مكتبة،
ماتت في حماية الملجأ الحجري
الذي كان يعتبر آمنا ولكنه انهار إلى أسفل
ولم يستطع أحد التنقيب عنها في داخله عبر ألواح السور،
على الرّغم من أنه قد سمعت طَرَقات تدقُّ وأصوات طَوالَ أيام عدة.
ولذلك ضاعت الأسماء طيلة قرون، وإلى الأبد.

المحاضرة الخامسة

«قَامَ السيد المسيح من موته». من ذا الذي يؤمن بهذا
في أنه كان ينبغي عليه أن يسلك مثـلنا،
نحن أولئك الذين فقدنا الارتفاع، والهبوط واليمين واليسار والسماء،
والهاوية،
ونحاول قدر الاستطاعة ألّا نتخبط، في المركبات وفي السَّرائر،
الرجال يمسكون بالنساء، والنساء بالرجال،
يتساقطون، ينهضون، يضعون القهوة فوق المائدة،
يدهنون الخبز بالزبد، فمن جديد يأتي يَوْمٌ آخر.

وعام آخر. حيث يعود ثانية زمن تبادل الهدايا.
أشجار أعياد الميلاد وأكاليل الزهور والموسيقى،
لنا، نحن كهنةَ الكنيسة القديمة، الكاثوليك، اللوثريين[14].
فوق مقاعد الكنيسة حيث أغني مع الآخرين،
أقوم بالشكر على أننا ما نزال معا،
وعلى هبة صدى الكلمات، في هذه اللحظة، ومنذ قرون.

فلنبتهج، لأنه قد تَجاوَزْنا شقاء
تلك البلاد التي نقرأ عنها، هناك حيث المستعبَدون

---

(14) لوثري – من أتباع المصلح الشهير لوثركنج، وهو مصلح ديني مؤسس المذاهب البروتسانتية (الإنجيلية) في سنة 1517 – المترجمان.

يركعون أمام وهْم عُبودية الدولة، التي يتردد اسمها فوق الشفاه
يحيون ويموتون، غير مدركين أنهم عبيد.
فحيث كنا، فإن الكتاب المقدس معنا،
وفيه علامات المعجزة، النصائح والأوامر
غير الصِّحِّيَّة، الحقيقة مع الإدراك المتناقض
ولكن يكفي أنهم موجودون وهذا يكفي الأرض الخرساء.
إنها مثل النِّيران التي تُدْفِئنا داخل الكهوف
حيث تَهْطل أمطار النجوم الذهبية في الخارج.

يَصْمت علماء اللاهوت. أما الفلاسفة.
فلا يجرؤون حتّى على السؤال: «ما كينونة الحقيقة؟»
وهكذا أصبحنا بعد حروبنا الكبيرة، ودون قرار محدد،
للدرجة التي تكون فيها رغبتنا صادقة على وجهِ التقريب، ولكن ليس للنهاية،
في أن نعمل على أمل. فليعترف كل فرد الآن:
«هل قام المسيح من موته؟!» «لا أعرف إن كان قد قام من موته أم لا!»

المحاضرة السادسة

تَواصلَ التاريخ على المدى البعيد في هذه اللحظة
عندما أقتطعُ الخبز وأحتسي النبيذ.
ولدوا، كانوا عطشى، ماتوا.
هذا الجمع الغفير، يا إلهي! أ معقول
أن الجميع أرادوا الحياة، وهم ليسوا بموجودين؟

تقود المعلمة قطيعًا من الصِّبية في الخامسة من عمرهم
في قاعات المتحف المرمرية.
تـُجْـلِسُهُم فوق الأرض، هؤلاء الصبيةَ الـمُهَذَّبين
والفتيات يجلسن في مُواجهةِ لوحةٍ ضخمة
تشرح لهم: «خُوْذة، سيف، وآلهة ،
جبل، سُحُب بيضاء، نسر، برق.
إنها تعرف، وهم يعرفون للمرة الأولى.
حَلْقها الهش لا يحتمل، جسدها النسائي،
تنورتها المتعددة الألوان، المراهم والحلي
ذلك التسامح الحيادي. ما الذي يعنيه حياد
التسامح؟ انتقاص الرؤية، لا مبالاة الأبرياء
هل يصرخ من أجل الانتقام، مطالبا بالحكم
لو أنني كنت قاضيا.. لا لن أكون، لست بقاضٍ .
جلالُ الأرض الفقيرة لن يُـجَدِّدَ من نفسه.
ففي آن واحد، الآن، هنا، ويومًا بعد يوم

الخبز يستحيل جسدًا، والنبيذ دمًا.
وهذا الذي يعد مستحيلا ولا يحتمل
يبقى مَقْبولًا من جديد، متعارفًا عليه.
من المؤكد ، أنني أثير غبطتكم.. وأثير أيضًا غبطتي.
فنحن لا نغتبط كثيرًا. أشجار الشمعدان
تحمل شموعًا خضراء.. نباتات «المنغوليا» تزدهر.
هذا حقيقي.. حيث ينقطع الضجيج.
وتغلق الذاكرة مياهها المظلمة.
أما أولئك، كما يحدث من وراء الزجاج، فَيُبَحْلقون صامتين.

بيركلي 1985

«الضواحي التالية»

(1991)

الحدادة

راق لي الكيرُ عندما يحركه حبل.
ربما يكون يدا، دواسة أومَسْند قدم، لا أتذكر.
هذا النفخ، يؤجِّج النيران!
وقطعة معدنية في النيران، ممسوكة بالـكـلّاب،
حمراء اللون، لينة تماما، معدة لسندان الحدادة،
تـضرَبُ بالقادوم، تتشكَّل حدوةَ فرس،
تُـرْمَى في دلو الماء، فيـئز، ويتبخر.
والخيول المربوطة، سوف تـنْـتعَـل،
تلفظ الصالحين في حشائش النهر
سنون المحاريث، زحافات الجليد للعدو، جَرَّافات في انتظار الترميم.
عند المدخل، قدماي العاريتان فوق الأرض القذرة،
هنا، ضيوف طيبون، وهناك من خلفي السحب البيضاء.
وأنظر، أنظر - إلى حيث يستدعونني:
إلى تلك الأشياء المجيدة، حيثما كانت.

بيركلي 1989

آدم وحـواء

قرأ آدم وحواء عن قرد يستحم،
قفز إلى البانيو مُقَلِّدا سيدتَه
فتح الصنبور: فانهمرت فجأة المياه الساخنة!
فَهَرْوَلت السيدة، في قميص النوم الأزرق، ثدياها الضخْمان
بعروقهما الزرقاء، يتدلّيان.
لتنقذ القرد، وتجلس فوق مغسلة الملابس،
وتنادي خادمتها، حان وقت الذهاب إلى الكنيسة.

ولم يكن آدم وحواء مُنْفَرِدَيْن بالقراءة
ممسكين بالكتاب فوق الركبة العارية.
تلك القلاع! تلك القصور! حصون المدن!
كوكبة المطارات المتعددة الطوابق! المجاورة للمعبد الهندي

نظر أحدهما إلى الآخر، ابتسما،
ومن غير المؤكد أنهما سيتعارفان
وامتدت يد حواء نحو التفاحة.

بيركلي 1989

أمسية

لحظة ظهور السحب البيضاء الهابطة قبل طلوع القمر،
حيث الركود التام عند خط البحر:
صفاء المشمش مع الحواف الرمادية
حيث يَسْوَدُّ، ينطفىء، يتجمد في الأحجار الرمادية.

إن من يعرف ، هو ذاك الذي يشك في وجوده.
يوسع الخطى فوق الشاطيء ويستوطن الذاكرة.
ليس هنا ثمة ربح. فإنه لا يسترد، أو يعوض كالسحب.
الرئات، الكبد، الجنس، ليس أنا، وليس ملكي.

الأقنعة، الشعور المستعارة، الأحذية الطويلة، كونوا معي!
أبدلوني، خذوني إلى خشبة مسرح كثير الزخرفة،
ليمكن لي حقا أن أصَدِّق للحظة، بأنني أنا نفسي موجود!
يا أيتها الترانيم، الأشعار، ميلوبيـــا،
غنِّي بشفاهي، فلتتوقفي وأهلك أنا!

وهكذا ببطء يبتلعه الليل
أجل، حيث لا تتوقف
درجات سُلَّم الشمس أو مولد القمر.

بيركلي 1987

خلق العالم

سكان السماء في مكتب التصميمات ينفجرون ضحكًا،
لأن واحدا منهم قد رسم قنفذا،
أما الآخر، حتَّى لا يبقى في المؤخرة ، فقد رسم مغنية سوبرانو -
الرموش ، والصدر ، وخصلات الشعر الكبيرة.

إنها لعبة رائعة في المحيط الزاخر بالطاقة الغازية،
من بين البروق التقليدية المعلنة عن التيارات الكهربائية.
حيث دلو الألوان الأصلية، والفـرُشُ الأصلية،
والدوران المفرط للأفلاك التي يقع معظمها خلف النوافذ القريبة
حيث الإشراق النقي للسحب غير المتمرسة.

إنهم ينفخون المحارات التي تنقلب في الفضاءات الأصلية،
في بلاد زاخرة بالنماذج الأصلية، في السماء السابعة.
الأرض تقريبا معدة، أنهارها تبرق لمعانا،
غاباتها تنمو، كل غابة منها تَتَشَكَّلُ خلقا منفردا
تنتظر من يطلق عليها اسما، وكل صاعقة تتوعد مختلف الأماكن
لكن القطيع في الكلأ لا يرفع رَأسه.

المدن تَزْدهر، والشوارع ضيِّقة،
حيث يتساقط ما بداخل المبولة من النافذة، والملابس معلقة.
ومن بعدها يبدو طريق الأوتوستراد السَّريع متجهًا نحو المطار،
تمثال عند مفترق الطرق، حديقة، ملعب رياضي كبير،
أقيم خصيصًا للآلاف الذين ينهضون صارِخين: جول!

اختراع الطُّول، والعرض، والارتفاع،
اثنان في اثنين وقوة جاذبية الأرض،
يكفي هذا، فما تزال موجودة هنا: السراويل النسائية القصيرة المزيّنة
بالدانتيلا، وجاموس النهر: سيد قشطة، ومنقار الطوقان الضخم،
تمضغ بضروسها حزام العفة،
وأسماك القرش، تتدرَّع فوق رؤوسها بالخوذات،
فضلا عن الزمن، إنه فصل ينقسم إلى ما «سيكون» وما «كان».

المجد، ينشدون لِـمَجْدِ الأَشْياء الموجودة.
إنهم يستمعون، أما «موزار» فيجلس عند البيانو
ويصوغ مُوسِيقى، كانت مُعَدَّة من قبل
من قبل أن يولد في «سالزبورج».

لو أن كل شيء استمرّ فقط وتواصل. لكن ليس ثمة مَخْـرَج.
إنه يمرُّ، مرّ، يدور داخل فقاعات الصابون
يدور هذا معا فضلا عن تضرع سماوي إلى الموتى:

«يا أيتها القبيلة المترنِّحة، كيف يمكن لنا ألّا نتعاطف معكِ!
مع أسمالِك الملوَّنة ورقصاتِك،
التي تبدو زاخرة بإثارة جنسية لا يُكْبَحُ جِماحُها، ولكنها تدعو إلى الرِّثاء،
المرايا التي تتركين فيها وجها بالأقراط،
حيث الجفون مُلَوَّنة، وللرُّموش ظِلالها.
وهكذا لا تملكين شيئًا سوى أعياد الحب!
كم هو ضعيف دفاعكِ أمامَ الهاوية!»

والشمس تشرق والشمس تغرب.
والشمس تشرق والشمس تغرب.
وعندما يهرولون، فإنهم يهرولون.

بيركلي 1988

«ليناوس»

«ولد في عام 1707، في الساعة الواحدة في الليل، في 23 من
مايو، عندما كان الربيع مكتملا في ازدهاره، والكروان يعلن عن
قدوم السنوات التاليات»
من السيرة الذاتية

أوراق خضراء فتية.. طيور الوقواق.. صدى.
في الرابعة صباحًا ينبغي أن تستيقظ وتعدو نحو النَّهْر،
تصعد منه الأبخرة، ناعمة، تحت أشعة شروق الشمس.
تنفتح البوابات، الخيول تَعْدو،
طيور الوقواق تُهَفْهِفُ، الأسماك تَتَطايرُ فوقَ سطحِ المياه.
فهل نحن بدأنا مرحلة التكاثر.
هذا البريق، هذه النِّداءات، هذه الملاحَقات، هذا التَّغْريد؟
عشنا كُلَّ يوم في ترنيمة، في نَشْوة،
ليس لدينا كلمات، لكننا نشعر بأنَّ هذا لكثير.

كان واحدًا منا، في طفولتنا السعيدة.
سار مسيرته مع صندوق النباتات

يجمع فيه كل نبات على حدة ويسميه، كآدم عندما كان في الحديقة،
ولم ينته من خلقه، فقد نُـفِي مبكّرًا جدًّا.
منذ تلك اللحظة تنتظر الطبيعة الأسماء ..من يسميها:
وفوق الحقول عند ضواحي «أوبسالا» البيضاء، في غبش الإصباح،
رائحة نبات «پلاتانثيرا – Platanthera»، فأسماها: «بيفوليا – Bifolia».
أما «توردوس – Turdus» فيغني في شجر «الموسكي»، ولكن هل هذه موسيقى؟
إنها ما تزال موضوعا للمناظرة.
أما عالم النباتات فسوف يضحك من طائر صغير مفعم بالحيوية،
وسوف يكون إلى الأبد « Troglodytes troglodytes L. ».

لقد نظم ممالك الطبيعة الثلاث داخل نظام.
مملكة «الحيوانات»، مملكة «النباتات». ومملكة «المعادن» وقد قسموها إلى:
طبقات، أنساق، أنواع، أجناس.
كم هي متعددة أعمالك يا «يَهْوَه»(15).
لقد غنّى مع تراتيل المزامير.
نظام، عدد، تناسق
إنها في كل مكان، وهي تمدح عبر الأَصابِعِ العازفة على القيثار
والكمان، وترَتِّل بشكل يقترب من سداسي التفاعيل اللاتينية.

---

(15) «يَـهْـوَه»: الله في الترجمات المسيحية للعهد القديم – المترجمان.

منذ ذلك الحين كُنَّا نَمْلِكُ لُغَةَ البراعة: حيث مجموعة الخرائط الجغرافية.
وزهرة «قرن الغزال» بداخلها السري الداكن،
وشقائق النعمان ،والزنابق المائية، وأزهار السَّوْسَن
مرسومة بفرشاة دقيقة،
أما الطائر في أوراق النبات، فأسمر مع مسحة من زرقة سماوية،
لا يطير على الإطلاق، فهو متوقف
عند الصفحة الزاخرة بالكتابات الزخرفية.

اعترفنا بجميله
في الأمسيات المنزلية
شاهدنا الألوان تحت إضاءة اللمبة النفطية
بِزُجاجها الأخضر، وكل ما هو موجود فَوْق الأرض
ظهر في أحجام ضخمة، تظهر وتختفي،
هنا كان بمقدورنا أن نمارس الحب، بشكل آمن دون خسارة.

أهل بيته، كان بستان برتقال، حديقة
زرعت فيه مزروعات من أراضٍ تغمرها البحار
فليكونوا مباركين وفي سلام
ولتكن إقامتهم رغدة.. في الصين واليابان،
في أمريكا، وأستراليا حيث تحمل أشرعة السفن
حواريـيهم من جميع أنحاء العالم حاملين الهبات:

البذور والرسومات. أما أنا الذي أكون
رحالة وجامع الأشكال المرئية في
هذا القرن المتسم بالمرارة ، الخالي من التـناغم، حيث أحسدهم، أضع
هذه التحية لهم، شعرًا أقرب ما يكون إلى قصيدة كلاسيكية.

بيركلي 1990

المجسد

في تلك البلاد كان ثمة ضابط من ضباط الفرسان.
يُرى في صحبة العائلات الكريمة، بل إنه كان في صحبة الكونتيسة
كان لديه حذاء من الجلد الرقيق، ويقدم له طعام الفطور
عن طريق عامل الاتصال، هذا الفتى الأنيق التابع للجيش.
الفتيات كثيرة. وجودهم هناك أكثر من أيٍّ مكان آخر، فالحامية العسكرية كبيرة.
لدى البعض منهم غرفهم الداخلية،
أما الغرف الأخرى فقد فتحت تحت رعاية السيدة المهذبة،
من تحت «الأباجورة» الوردية اللون تحييهم وتعرض عليهم
«هينيا» الدافئة، «ليديا» البيضاء بياض اللبن.
والحصان من تحته يرقص في استعراض عسكري، والأجراس تدق.
ورجال الدين يسيرون في مسيرتهم والأطفال يتثاءبون من روائح الأزهار
فالحياة هناك كما ينبغي أن تكون.
مواسم ترتدي فيها الشوارع هذا التألق، حيث أوراق الأشجار النحاسية،
وهذا البياض من جديد.
الفلاحون من الضواحي، في أغطية الخِراف
بأحزمة في الوسط من الصوف الملون، ولحاء الأحذية،
بداخلها أسمال تربط الأقدام، حيث يعرضون بضاعتهم.

لا شيء أكثر من ذلك يمكن لنا قوله. لقد عاش يوما ما،
تحت صفحات السجلات التاريخية، وتحت رياح مختلفة،
وتحت تَـزامُنٍ مُـخْتَلفٍ للنُّجوم، مع أنه ينتمي إليها ذاتها
فالأرض، كما يقولون، إلهة!

بيركلي 1988

السيد « هانوسيڤيتش »

(1922)

«هانوسيڤيتش» يريد «نينا». لماذا؟ لماذا؟
لأنه يزمجر ويزأر، ويبكي عندما يثمل.
و«نينا» تضحك. أليس هذا مضحكا؟
بدين، وعصبي المزاج، لديه أذنان ضخمتان
وعندما يحركهما، فكأنه الفيل تماما.

السّحابة الزّرقاء الدّاكنة تتوقف عند «سان فرانسيسكو»
وعندما أرحل في المساء على طول طريق هَضْبة الدببة
ووراء البوابة الذهبية، بعيدا، أشاهد بريق المحيط.

آهِ، يا أعزائي الموتى من بعيد! آهِ، « هانوسيڤيتش»؟ آهِ، «نينا»!
لا أحد يتذكركم، لا أحد يعرف عنكم شيئا.

كان « هانوسيڤيتش» يملك ضيعة، في «مينشتـشيجينيا»
استولى عليها البَلاشِفة فيما بعد، يعيش حاليا في «فيلنا».
كان شابًّا، سمحت له أمه أن يحيا حياته بالطول والعرض،
كان يعربد مع مغنيات من الدرجة الثانية، كان يتظاهر بأنه سيد نبيل،

وكان يرسل البرقيات باللغة الروسية: «سوف أصل مع السيدات
أعدوا ثلاثة عازفين وشمبانيا»
التوقيع: الكونت «بوبريونسكي».

مغنيات الملاهي الليلية. كأني أرى الآن فساتينهن، «الساتان»، الشفافة والسّراويل السّفلية القصيرة السّوداء المُزَخْرفة بالدانتيلا. الصدور: الضئيلة، والكبيرة الحجم
والخوف عندما يتحسسن أنفسهن في المرايا، بعد تأخر العادة الشهرية.
كان من بينهن ممرضات[16] يُحَمْلِقْنَ من نوافذ مستشفيات القطارات
وفوق حواجب أعينهن، حُدودٌ ترتدّ فتصبح عِمامة، فيها علامة الصليب الأحمر.

ليست «نينا» لـ« هانوسيڤيتش». انظروا كيف تسير.
إنها تميل ذات اليمين وذات اليسار وكأنها بحّار.
وكأنها جالسة طوال العام فوق سَرْج حصان، في فوج الفرسان»[17]
أيُّ نوع من السيدات الشابة يصلحن للزواج؟
ما الذي وجدت فيهن، يا سيد « هانوسيڤيتش»،
أوجدْتُـهـنَّ رومانسيات؟ هل ادعيت بأنك «كونت»
ربما ألبستهن ثوبا فانتازيا.

(16) المقصود هنا ممرضات الجيش الروسي في أثناء الحرب العالمية الأولى - «المترجم».

(17) في عام 1920 لم يكن شائعًا في بولندا والاتحاد السوفييتي أن تكون المرأة فارسا في فوج الفرسان - المترجم.

من المؤكد، أن هذا حقيقي، فإن أذنيك لَـمُضْحِكَتان،
تحركتا، وفي العينين شيء أقرب إلى الخوف.
لقد عاش « هانوسيڤيتش» مرة. ومرة عاشت «نينا».
مرة واحدة منذ البداية حتّى نهاية العالم.
أنا الآن أصل ما بينهما، مؤخرا، في حفل زواج.
ومن حولي شريط مخطط، وعيون حيوانية زُمُرديّة اللون
سيدات ترتدي أزياء أقرب ما تكون لأزياء «الموضة»، كقبائـل «الـشامان»
التي فقدت فصيلتها،
أو تبدو بابتسامتها الخفية كممرضة،
تظهر من بين السحب البيضاء، كي تقوم بالمساعدة.

بيركلي 1988

الشوك والقرّاص

(...) الشوك والقرّاص الطويل، وعدو الطفولة، نبات
ست الحسن.
و. ميووش

الشوك والقراص والأرْقَطْيون[18] و«ست الحسن»
يملكن مستقبلا. إنها جزر تائهة.
والقضبان الحديدية أصابها الصدأ. السماء. الصمت.

من الذي سَوْف أكونهُ للبشر المختلفة الأجيال من بعدي
من سوف يحصل على جائزة الصَّمت بعد أن ينتهي ضجيج الألسنة؟

عليه أن يفتديني بِهِبة ترتيب الكلمات
وكان عليَّ أن أعد نفسي فوق أرض خالية من قواعد اللغات.

بالشوك والقراص والأرْقَطْيون و«ست الحسن»،
رِياح صغيرة حولها وسُحب نائمة، وصَمْت.

بيركلي 1989

---

(18) الأرقطيون: من النباتات العشبية التي تعيش حَوْلَين، من العائلة المركبة ذات رؤوس زهرية وردية أو أرجوانية، محوطة بأوراق قاعدية شائكة مُشكلةً غُلافا شائكا من الثمار - المترجمان.

مصالحة

قهره مُؤَخَّرا زمن المصالحة
مع ذات نفسه. «أجل» - استطرد قائلًا -
«خُلِقتُ من أجل أن أكون شاعِرًا
ولا شيء غير ذلك. لا شيء على الإطلاق
لم أكن أعرف شيئا آخر لأفعله. شاعرًا بالخجل أكثر
لأنني غير قادر - فَضْلًا عن ذلك - أن أقوم بتغيير قدري.

الشاعر: هذا الذي يفكر دَوْمًا في شيء آخر.
شرود ذهنه يسوق المقربين إليه إلى اليأس.
ربما لا يكون لهذا عَلاقة بمشاعر البشر.

ولكن بعد كل شيء، لِـمَ لا يكون الأمر على هذا النحو؟
ففي اختلاف البشر تَغيُّرٌ وتـنوُّع
هو أيضًا مطلوب. فلنقم بزيارة الشاعر
في بيته الصغير في حي من الأحياء المتواضعة قَليلًا،
حيث يربي الأرانب، ويعدّ «الفودكا» مع الأعشاب الطيبة،
ويسجل على شريطٍ أشْعارًا سحرية.

بيركلي 1990

قصيدة من ديوان
«ضواحٍ جديدة»

6- «لو أن ذلك الذي أتضرع من أجله يتحقَّق!
إِذَنْ لمنحت نِصْفَ حياتي لِقاءَ تحقيقه
ليصبح مؤخرا حقيقة. تـتبعها المرارة والرِّثاء.
لا تتضرعوا، أيها الموتى! سوف يُسْمَعُ إليكم.

12- أفضل أن أكون قادرا على القول: « أنا راض .
فما كان ممنوحا لي كي أعايشه في هذه الحياة، قدّ عايشته».
ولكنني كهذا الذي لم تكن لديه الشجاعة لأن يحرك الستائر جانِبًا
حَتَّى يتمكن من رؤية الأعياد غير المفهومة بالنسبة له.

بيركلي 1988

الشباب

شَبابك الأبله غير السعيد
مجيئك من القرية إلى المدينة.
زجاج مركبات التِّرام الذي أصبح ضبابيّا من العرق، الملل البائس في
حركة الجُموع،
الشعور بالفزع، عندما دخلت محلا، كان بالنسبة إليك باهظ الثمن.
لكن كل شيء باهظٌ، ومرتفع الثمن.
أينبغي على أولئك البشر ساكِني المدينة مُراقبة سلوكك غير المتحضّر
ورِدائِكَ العتيق الذي تعوزه الرّشاقة.

لم يكن هناك أحد، من ذا الذي وقف بِجِوارك وقال:
- أنت فتى وسيم،
- أنت قوي وصحيح البنية،
- سُوء حظك وهم.

إنك لم تشعر بالحسد تجاه مُغَنِّي «التيـنور» الذي يرتدي مِعْطفا من وَبَر الجمل،
فإنك لو خَمَّنت خوفه، وكيف سيموت، فلن تحسده.
هي، حمراء الشعر، بسبب ما قاسته من التعذيب،
تبدو لك رائعة الجمال، ولكنها دمية قذفت في النيران،
لا تدرك بكاءها وصراخها من بين شَفَتيها المماثـلتين لشفتيْ مهرج.

شكل القبعة، طريقة تَفْصيل الثوب، الوجوه في المرايا
سوف تذكر بغموض ذلك الذي كان منذ زمن بعيد
أو ذاك الذي بقي من الحلم.

البيت الذي تـقـترب منه وأنت ترتعش،
تلك الشقة التي خطفت أبصارك -
انظر، في هذا المكان نفسه وبدلا منه ، تقوم الرّافعات بتنظيف الـمُخَلّفات!

أما أنت من الناحية الأخرى، فسوف تتملك وتـقـتـني، وستكون آمنا،
ويمكن لهم أن يكونوا فخورين أخيرا، عندما لا توجد مسببات.
تتحقق أمنياتك، عندئذ سوف تحدق فاغِرًا فاهَكَ
حول الزمن الـمُطرّز من الضباب والدخان،

حول تلك المصانع التي تطرز الحيوات عند نهايات اليوم الواحد،
تتماوج، ترتفع وتتساقط كَبَحْرٍ غير متغير.

الكتب التي تقرؤها، لن تكون ضرورية أكثر من ذلك،
لقد بحثت عن إجابة وعشت بلا إجابة.

سوف تسير في شَوارع الـمُدن الجنوبيّة الـمُضاءة
تجد مَلاذك في بداياتـك، وتُشَاهد مرة أخرى في جذل ونشوة
حيث بياض الحديقة، حين يسقط فوق أول ليلة من الجليد.

بيركلي 1990

حديث مع «چان»

الفلسفة ليست شغلنا الشاغل، اتركيها يا «چان».
تلك الكلمات العديدة وتلك الصفحات الكثيرة، من ذا الذي يحتملها.
أخبرتك بالحقيقة عن مَنْفاي.
وتوقفتُ عن قَلقي من حَياتي الـمُلْتوية،
ليست هي بأفضل أو أسوأ من مآسي البَشر العاديين.

أكثر من ثلاثين عامًا يتأرجح جَدَلنا.
كما نفعل الآن، فَوْقَ الجزيرة، ما بين سَماء الـمَدارات الاستوائية.
فلنهرب في الإعصار، الذي يستمرّ للحظات، لتشرق الشمس إشراقًا تامًّا،
وسأفقد النطق، مُنْبَهِرًا بالاخضرار الكثيف الزُّمرديّ اللون.

فلنغُصْ في زَبَـد البحر عند خَطِّ الأمواج المتكسرة،
ولنبحر بعيدًا، هناك حيث الأُفُق يتشابك مع شجيرات الموز،
مع الطّواحين الهوائية الشّبيهة بأشجار النخيل.
إنني مُتَّهم: بأنني لم أكن على قَدْرِ قامة رائِعتي الأدبية،
وبأنني لم أطالب نفسي، بأن أتعلّم بالقَدْر الكافي من «جاسبير»،
بأنَّ ازْدِرائي للآراء في هذا العمر – أيا ما كانت – يزداد خُمودُه.

تُؤرجِحُني الأمواج، وأنظر إلى الغمام.
مَعَكِ حقٌّ، يا «چان»، فأنا لا أعرف كيف أعتني بخَلاص رُوحي،
فالبعض يُسْتَدْعَون، والبعضُ الآخر يحكم نفسه بنفسه، وَفْق قدراتهم.
أوافق على ما ينتظرني، على ما كان عَدْلا.
لا أتظاهر بعظمة حكمة العُمْر الهَرِم.
غير مُفَسِّرٍ عَبْر الكلمات، أنني اخترت بيتي في ذلك الذي تعنيه اللّحظة الرّاهنة،
في أشياء هذا العالم، تلك التي توجد ولذلك فهي تُسْعِدنا:
في عُرْي النساء فوق رمال الساحل، صدورهن الشبيهة بجبال من النُّحاس،
«الخُبيّزات»، و«الزّنابق» الحمراء، الملتهبة
عُيوني، الشفاه، اللّسان، فَضْلًا عن عصير الجوّافة، وعصير «prune de cythere»،
والرّوم بالثلج، والعصير، والنباتات المتسلقة
في الغابة المبلّلة، حيث تـقفُ الأشجار فَوْقَ جُذورها الطّويلة.
تقولين إن الموت، موتي وموتك، يقترب أكثر فأكثر.
لقد عانينا، ولم تكـفِنا الأرضُ المسكينة.

والأرض السوداء الأرجوانية اللون الـمُمْتلئة بِخَضْراوات البَساتين
ستكون هنا، مرئية أو غَيْرَ مرئية.
سيكون البحر، مثل اليوم، مُسْتَنْشقًا من الأعماق.
سينقص رويدا رويدا، وأنا سوف أختفي في كل ما هو ضخم، بحريّة أكثر فأكثر.

1984 Guadeloupe – جواديلوب

تـــأمـل

«الحب القديم الدافئ تتـلفه الشفقة والغضب والعزلة»

و. ميلوش

Un viel amour

Use par la petie, la colere et la solitude.

O. Milosz

إلهي، إنه من الـمُحْتَمل تمامًا، أن البشر الذين يمجدونك قد أَخْطأوا.
لم تكن حاكمًا متوَّجًا، جاء من تحت الأرض
تُرَى كيف يرجعون إليك عَلى أمل،
أن تحميَ قَمْحَهم من البَـرْد، والجسدَ من المرض،
أن تنقذهم من وَباء الطّاعون والجوع والنيران والحروب.
أردت مساعدتهم كثيرًا، لتصبح سعيدًا عندما يتحقق هذا.
تتعاطف معهم، غافِرًا لهم أَخْطاءَهم،
وزيفهم، الذي كانوا على وعي به، متظاهرين، أنهم لا يَرَوْنه،
ولا يرون حتّى القبح، الذي تجمع في كنائسهم.
إلهي، قلبي ملئ بالإعجاب وأريد أن أتحدث معك،
لأنني أؤمن بأنك تفهمني، على الرّغم من تناقضاتي.
أظن أنني الآن أفهم، ما الذي تَعْنيه محبّة البشر
دون أن يعوق تحقيق ذلك الحب : الوحدةُ، والشفقة والغضب.

يكفي أن يفكر المرء مليا بقوة وبغير انقطاع في حياة واحدة،
في امرأة ما، على سبيل المثال، كما أفعل الآن،
ويبدو واضحا عَظَمة تلك الموجودات الضعيفة،
الذين بمقدورهم أن يكونوا شرفاء وشجعانا في محنهم، صَبورينَ حَتَّى النهاية.
ما الذي يمكن لي فعله يا إلهي، أَكْثَر من التأمل
والوقوف أمامك راكِعا متوسِّلا،
باسم أولئك الأبطال أسألك: أن تَـضُمَّنا تحت جناحِ مَـجْدك.

بيركلي 1990

بَهْجةُ السَّرْخَس

الأصابع الكبيرة مثـل أوراق نبات «السَّرْخس» من هاواي
تَلْتمع تحت الشمس، وأشعر بالبهجة
لمجرد التفكير في أن أوراق الشجر سوف تـتفتح، عندما لن أكون.
أحاول أن أفهم، ما سرُّ هذه البهجة!

هاواي 1989

ديسمبر (1)

بِلاد الكروم الخَمْرية اللون، الضاربة في الاحمرار، القُرْمزية البنيّة في هذا الفصل من الفصول.
تُخوم الجبال الزرقاء فوق الدلتا الخصبة.
الدفء رهن بوجود الشمس، وفي الظل يعود البرد.
حيث الحمّام البخاري الشديد الحرارة، والسباحة في الحمامات الـمحوطة بالأشجار.
حيث الأخشاب الحمراء الدّاكنة، حيث أشجار «البتولا» ذات الأوْراق الشّفافة الشّاحبة.
في شِباكِها الرقيقة، توجد الفضَّة الآتية من القَمر.
إنني أَصِفُها ، لأنها تُعلِّمني أن أتشكَّكَ في الفلسفة
وأن العالم المرئي، هو كل ما بقي من بعدها.

بيركلي 1990

دانتي

أن تكون فقيرا هكذا. لا الأَرْض ولا الجَحيم.
وهذا الدوران الـمُسْتمرّ للفُصول.
أولئك البشر تحت النجوم
يسيرون ويتـشتّت شملهم
في رماد أو في غبار النجوم. هذا عمل الآلات الـمُجزّأ.
عمل بلا أخطاء، حيث تعمل الآلة بشكل ذاتي الاندفاع.
حيث تتفتَّح أزهار «اللَّيْلك» المخطَّطة بِخُطوط النمر
والتي سوف تتفتت في عجينة لزجة.
الأشجار تنمو رأسيا، مستـقيمة في الهواء.

أنت يا «اللجيرى»[19] الكيميائي، كَمْ هو بعيد
عن نَسَقِك، هذا النَّسق الـمُتَـتالي الـمَجْنون،
فالكون، الذي أعجبت به، والذي فيه سوف أموت،
غير مُدْرك أي شيء عن تلك الروح التي لا تموت،
حيث عيناي تلتصقان مُـحَدِّقَتَيْن في شاشات تخلو من البشر.

في الخُفوف الـمُلَوَّنة، في الأشرطة، في الخَواتم
التي ما يزالون يَبْتاعونها فَوْق جِسْر نَهْر «أرنو».

---

(19) اللجيرى : لقب «دانتى» الشاعر الإيطالى العظيم ، صاحب «الكوميديا الإلهية» - المترجمان.

حيث أختار هدية لـ«تيودور»،
و«إلفيرا»، و«يوليا»، أيًا ما كان الاسم
لتلك التي أنام معها وألعب معها لعبة الشِّطْرنج.
في الحمام، حيث تَـجثمُ على حافّة البانيو،
أنظر إليها، حيث
يبدو جسدها بلون المياه الخضراء.
ليس عليها شيء، سوى عُرْيِها، الذي اقـْتِـطـَعَ لنا،
والذي يجعلنا شاردي الذهن، ويجعلنا لا نَمْتلك أَجْسادنا.

الأفكار والكلمات والمشاعر تَهْجُرنا
كما لو كان أَسْلافُنا من جِنْسٍ آخر.
يصعب أكثر فأكثر تأليف أغاني الحب،
أغاني الزواج والموسيقى المقدسة الجليلة.

وإليك فقط، شيئًا واحدًا حقيقيًّا:
La concreata e perpetua sete,
الرَّغبة المتعطِّشة التي لم تُولَد بعد
Del deiformo regno – من أجل أن يستحوذ الرَّبُّ استحواذا تامًّا،
على البلاد أو المملكة.. فهناك بيتي.
وليس بمقدوري فعل شيء. إنني أصلي من أجل النور
من أجل ما يكمن داخل اللؤلؤة، (eterna margarita).

بيركلي 1990

مَعْـنَى

- عندما أموت، سوف أَرَى بطانة ثوب العالم.
ومن الجانب الآخر، سوف أَرَى ما وراء الطير، الجبلَ وشروقَ الشمس.
فالمعنى الحقيقي، معدٌّ كي تـُحَلَّ شفرته.
فما كان غير متفق عليه، سيكون متفقا عليه.
ما كان غير مستوعب، سيكون مستوعبا.

- فلو لم توجد بطانة ثوب العالم، ما الذي يمكن أن يحدث؟
فإن كان الطائر المغرد واقفًا فَوْق فَرْع شجرة، فلن يكون هذا علامة على شَيء
يَعْني فقط أن الطائر الـمُغَرِّد واقف فَوْق فَرْع شجرة، فكذلك النهار والليل
يتبع كلٌّ الآخر دُونَ مُراعاةٍ للمَعْنى من وراء ذلك
لا يوجد شيء فوق الأرض، إلا هذه الأرض!

ولو كان الأمر على هذا النحو، فإنني سَوْف أَبْقَى
فالكلمة أحيانا تَسْتَيْقظ عَبْرَ الشِّفاه المتقلبة،
حيث تصل إلى الرَّسول غير المتعب الذي يَغْدو ويعدو،
عَبْرَ حقول النجوم، عبر المجرة الدوارة
وهو يحتجُّ ويصيح ويصرخ.

بيركلي 1988

« فوق حافّة النّهر »

(1994)

في عمر معين

أَرَدْنا أن نعترفَ بآثامنا ولم يكن ثمة أَحَدٌ نعترف له.
لم تستجبِ الغُيوم لقبول اعترافنا ولا الرياح
فقد كانت مُنْشَغلة للغاية بزيارة البحر تلو البحر.
لم ننجح في أن نثير اهتمام الحيوانات.
فالكلاب، الـمُخَيِّبة للرَّجاء، كانت تنتظر أمرًا.
والقط، كَعَهْدِنا به دَوْمًا، غير أخلاقـيّ، كان مُسْتَغرِقًا في نَوْمه.
أما ذلك الشخص، الذي اعتقدنا أنه قريب جدا منا
فلم يكن مهتما بالإصغاء إلى ذلك الذي قد حدث منذ زمن بعيد.
إلى تلك الأحاديث مع الآخرين، مع احتساء «الفُودْكا» أو القَهْوة
التي لا ينبغي أن تَـمْتد بَعْد العلامات الأولى لظهور الضَّجر والسَّأم.
إنه من الـمُخْزي أن تدفعَ كل ساعة
لرجل مُتَخَرِّج في الجامعة مقابل أنه يُصْغي إليك.
الكنائس، ربما الكنائس، ولكن أن تَعْترفَ هناك بأيِّ شيء؟
بأننا اعتقدنا أننا نَتَّسم بالوَسامة والنُّبل،
وفيما بعد مؤخرا وفي نَفْس المكان نُصْبح مُثيرينَ للاشْمِئزاز
جُفون بدينة شِبْه مفتوحة
ويصبح كل شيء مَعْروفا: «إنه أنا».

بيركلي 1992

تقريـر

يا مَنْ أَنْتَ في عَلْيائك، أردت أن تخلـق مني شـاعرا، والآن حـان الوقـت لكي أقدم تقريرا.

قلبي مليءٌ بالعِرْفان بالجميل، مع أنني مُسَلِّم بِتَعاسة هذه الـمِهْنة.

وَبِمُمارسة هذه المهنة اكتشفت عديدًا عن غَرابة طَبيعة الإنسان.

ففي كل يوم وفي كل ساعة وكل عام يصاب المرء بالخَبَل مـن جَـرَّاء وَهْمـه الذاتي.

الوَهْمُ الذاتي عندما يشيد قِلاعًا رَمليّـة، ويجمـع طَوابـع البريـد، ويُعْجـب بنفسه في المرآة.

ويَنسبُ لنفـسه الــمَكانة الأولى في الرِّياضـة والـسُّلطةِ والحـبِّ، وعنـدما يَـجْمع الأموال.

وعلى الحُدود ذاتها، تلك الحُدود الهشَّة، التي يوجـد مـن ورائهـا عـالم مـن العقوبات والعويل.

ولأنه بداخل كل منـا أرنـب مَـــخْبول يتـــقلب مَـــخْموما وسِرْبُ ذئـابٍ تعوي، لذلك فنحن نخاف من أن الآخرين يَسْمعوننا.

ومع الوَهْم الذّاتي يَأْتِي الشّعْرُ ويعترف بخـَلله.

وبأنه قد كتبتْ أبياتُ شعر، تجعل كاتبها يشعر بخجل وَهْمه الشُعريّ.

وعلى الرّغم من ذلك، فإنه لا يحتمل أن يكون ثمة شاعرٌ آخر يقـترب مـن مكانته، فيصيبه الشَّك، من أن هذا الشاعر أَفْضل منه، ويَغارُ من كل إطْراء مُوَجَّه إليه.

فهو لَيْسَ على اسْتِعْداد فقط لقَتْله، بل يهشِّمُه كذلك، بل يَمْحـوه مـن عـلى سطح الأرض.

حتى يصبح بمفرده وحيدا، حَنونًا تِـجاهَ مَرْؤوسيه الـــمُطارَدين مـن قبـل صَغائِرِ أَوْهامهم الذَّاتية.

ما الذي يحدث إذن، عندما يُولدُ من هذه البِدايات الأولى إِشْراق الكلمة؟

جمعتُ دواويـن الـشُّعَراء مـن مُــخْتلف الأقطـار، أجلـس الآن لقراءتهـا وأدهش.

إنه أمر حُلو عندما أفكر أنني كنت رفيقًا في حَمْلةٍ، لم تتوقَّف على الإطـلاق، على الرَّغم من مرور قرون من الزمن.

لم تكن هذه الحملة بحثا عـن صـوف الخـراف الذهبيـة[20]، أو بَحْثـا عـن الشَّكل الـمُتكامِل، ولكن كانت ضَرورةَ البحث عن الحب.

(20) فروة صوف الخرفان الذهبية: هي صوف خروف له لون ذهبـي، في الأسـاطير الإغريقيـة، رحل الأبطال الإغريق للبحث عنها، أي البحث عن الكمال أو الشكل المثالي - المترجمان.

وتحت دافع الحب الذي لا يُقاوم، يَسْعى الشاعر للوصول إلى جَوْهر «السّنديان»، وإلى قمم الجبال وإلى عش الدبابير وزهور «الكبوسين»[21].
كي تتواصَلَ ترانيمنا وتستمر، وتتأكّد أغانينا ضد الموت.

وتفكيرنا المحب في كل أولئك، الذين كانوا مثلنا، وسعوا، لكنهم لم يَنْجحوا في تسمية الأَشْياء.
لأن الوجودَ فوق الأَرْض شيء أَكْبرُ من مجرد تسميته.

بَعْضنا يساعد البَعْض الآخر أخويا، مُتناسينَ الجروح والصَّدمات ويبرِّر كلٌّ منا الآخر عَبْر الألسنة، والأطراف، عبر عُضْويته وانتمائِهِ لجماعة من المُرْتَحلين.

فكيف لي أن أكون غير مُعْتَرِفٍ بالجميل، مع أنني استدعيتُ منذ وَقْتٍ مبكِّر، وعَبْرَ الإِنْكار المُبْهَم، ولم تقلِّل من إِعْجابي تلك الأكاذيب المُلفَّقة؟

عِنْد كل شروق شمس أُعْلن ارْتدادي عن شُكوكي اللّيليَّة، وَأُحيي يَوْما جديدًا من الوَهْم النَّفيس.

بيركلي 1993

(21) الكبوسين: نبات يعيش في أمريكا له عصير يشبه البرتقال، وهي أزهار ذات ألوان صفراء وبرتقالية وحمراء - المترجان.

ليتوانيا، بَعْدَ اثنين وخَمْسين عامًا

الإلهة

«جايا» الابنة البكريّة لـ«خاوس»،
والمزيَّنة في الكلأ والأشجار، تُبْهج أعيننا،
ليمكننا أن نتفق على تسمية ذلك، الذي يُعَدُّ جَميلا
وليقتسم البهجة كل رحالة أرضي مع الآخر.

فلنشكر بِاسِمْنا وباسْمِ أسْلافنا
أشجار السنديان وخشونة قُشورها النَّبيلة،
والصّنوبر، التي تلمعُ جُذوعَها في الشمس.
والغيوم النَّاصعة الاخضرار، وبساتين أشجار «البتولا» الرَّبيعية
والشمعدانات الخريفية في الغابات، والحَوْر الرَّجّاج[22].

كَمْ هي كثيرة أنواع الكُمَّثْرى والتُّفاح في بَساتيننا!
(مُرتَّبة كما توصفُ في «بساتين الشَّمال» لـ - «ستروميللو» Strumillo)،
العنب البناتي والعنب الثعلبي[23] والبرباريس[24]

(22) الحَوْرُ الرَّجّـاج: نوع من النباتات، له أوراق على شكل سويقات، تتطاير مع هبوب الريـاح - المترجمان.

(23) العنب الثعلبي: نبات عنب الثعلب البري في شرقي أمريكا الـشمالية، يحمـل توتـا أو عليقـا واخزا - المترجمان.

من أَجْل الغليان الكبير لإعداد المربّى
عندما تبدو وُجوهُ سيدات البيت حمراء بسبب وُقوفِهن الطَّويل أمام الموقد.

كان ثمة رُكْن مُنْفَصل من النباتات الطبية،
كانت تنبت وفقًا لنصيحة «الطبيب الاقتصاديّ لتكنولوجيّة الأعشاب»
بمدينة «جيزتسكي» ونهرها.
يأتي من عندهم الإكسيرُ والمراهمُ المتجهة لصيدليات القصور.

وجامعو الفُطْر! والدّاء الذي يصيب الخِراف، والفِطر الصّحّيّ القوي عند أشجار البَلوط يداويها،
وأكاليل الفُطر، الواحدة بعد الأخرى، تجف تحت الظلال.
أمَّا بوق الصائد فيُسْمَعُ عندما نسير نَحْو تَجْميع الفطْر الذي يَقْطر لَبنا
وسكاكيننا تَتَلَّون باللون الأصفر المَشوب بالاحْمرار من عصير الفُطر.

«جايا»! مهما كان ما سيحدث.. حافظي على فصول السنة على الأقل.
لتبزغ من الجليد الزاخر بالجداول في الربيع،
وتلبسي نفسك من رداء أولئك الذين سوف يحيون من بعدك
حتّى لو كان هذا الرّداء من اخضرار حدائق وسط المدينة
حَيْث تزدهر أشجار التفاح القَزَمة في حدائق الأَرْض الواقِعة في أَطْراف المدينة،
إنني سوف أدْلي بالتماسي، تجاه ابنك الوديع.

---

(24) البرباريس: شجر شائك، ذو زهر أصفر وعليق، برتقالي أو أحمر اللون - المترجمان.

قصر (إقطاعية)

ليس ثمة بيت، إنه حديقة، مع أن هناك أشْجارًا قديمة مقطوعة
ودغلًا يكتسي خطوط الآثار التي تُشَكِّل ممَّرات الحدائق.
ومخازن القمح التي جُرِّدَت، والبياض، والقلاع الشبيهة،
والقبو تلو القبو بداخله رفوف التفاح الشتوي.
كتلك الأخاديد عند الطَّريق الـمُلْتَوي في تلك الأزمنة القديمة:
إنني أتذكر هذا الطريق الـمُلْتَوي، ولكنني لا أتذكَّر النَّهر.
لونه كلون زَيْتِ العَربة الضَّارب إلى الحُمْرة،
ليس كمياه النهر الـمُعْشَوْشَبة ولا هو مثل لون زَنابق الماء.
حيث ممرات حدائق «الزَّيْزَفون»، الثمينة والغالية للنحل، قد ضاعت
أما أشجار بساتين الفاكهة، مملكة الدبابير والزَّنابير التي تَـحْتسي الحُلو،
فقد اختفت، ووقعت داخل الشوك وفي أنياب القرَّاصات[25].
هذا المكان وأنا، مع أنه مكان بعيد من هنا،
إلّا أننا في الوقت نفسه، عاما بعد عام، نفقد معًا أوراق الأشجار،
وعندما يَكْسو الجليد هذه الأوراق، نَتضاءَلُ رُوَيْدا رُوَيْدا.
ومن جديد نَتَجَمَّعُ مَعًا، في هَرَمٍ مشترك.

---

(25) القـرَّاصات (جمع قرَّاص): وهو نبات ذو وبر شائك - المترجم.

عندئذ يثير اهتمامي الدّخان المتصاعد من الأنابيب بدلا من المدافئ،
في القمرة الموصولة الـمُرَمَّـمة بألواح من الخشب والقرميد كيفما اتفق .
في اخْضرار الأعْشاب الضَّارة وأمـاكن تجمُّـع الأَشْـجار - أتعـرَّفُ عـلى
(Sambucus nigra).

فلتكن مقدسة تلك الحياة، على استمرارها، على فقرها ، وعلى أيِّ حال من
أحوالها.
لقد طُعموا شرائط «المكرونة» والبطاطا
وكان لديهم، على الأقل، قطع الخـشب لِيَحْرقـوه في تِلْـكَ الأيـام الـشتوية
الطويلة.

الجِوار (مِنْطَقة مُـجاوِرة)

لم أقل لأحد على الإطلاق، إنني أعرف هذه المنطقة المجاورة.
ولم كانَ عليَّ أن أعرف؟ وكأنني صَيَّاد أصيد بالرِّماح
ظهر، باحثا عن شيء، كان يعرفه.
وبعد عدد من صور التجسيد نعود إلى الأرض،
ولكن لَسْنا متيقنين، هل ستتعرف على وَجْهِها.
أين كانت القرى والبساتين، الآن لا شيء، مجرد حقول.
بدلا من الأَشْجار العَتيقة، توجد الغابات الشَّابة.
وبسبب هبوط مُسْتَوى المياه، فإن المستنقعات قد اختفت،
ومنها تنبع رائحة طيور «الطَّيهوج»[26] والأفاعي.
كان ينبغي أن يكون هنا نُهَيْر. هو موجود ولكنه مُـخْتفٍ في الأَجَمة.
وليس كما كان في الماضي مُـخْتفيًا في الـمُروج. وثمة بُحَيْرَتانِ
كان ينبغي عليهما أن تختفيا في الجفون، قبل أن تغطسا في الرمـال المتحركـة السوداء.
البحيرة يَلمعُ بَريقُها، ولكنّ شاطئها يعوزه الاندفاع والصَّخب
حيث كُنَّا من فوقه نَتصارع، ونَسْبحُ فيه مع الآنسة «x»،
لكي نَمْسح أجسادنا في مِنْشفة واحدة، ونَرْقص.

(26) طائِرُ «الطَّيهوج»: طائِرٌ من رُتْبة الدَّجاج في النِّصف الشمالي من الكرة الأرضية، له ريش بُنِّيٌّ أو رَماديٌّ – المترجمان.

«أحب هذا!» أو «حُوريّة الماء»

البرهان الوحيد لوجود الآنسة «x»
هو كِتابتي. هو أنني موجود هنا
إنها تحيا، ليس بعيدًا عن الأماكن التي أَحَبَّتْها.

كان شعرها أَشْقَرَ داكنا، يكاد أن يكون كستنائيًّا، مَقْصوصا،
كما كان مُشاعًا لدينا عند الفَتيات النَّبيلات.
عيناها رَمادية ونادرا ما تكونانِ زَرْقاويْن،
جزء منهما أَخْضر، وشكل الجفْنَيْنِ
شَرْقيٌّ إلى حَدٍّ ما. وَخَدَّاها
يكادان أن يكونا نَاتِئَيْنِ لَوْلا استطالة الوجه.
مع أنها تبدو - في حَقيقة الأمر- في انثناءات رُموشها ، وكأنَّها يابانية.

ولو أن الـمَسْألةَ لم تكن سِرَّ «أمينو» الاستثنائيّ
لكان لدى المستهزئين حَقٌّ، بأن ما يتبقى من الإنسان يَضيع.
ولكنها موجودة هنا، في ضاحِيَتِها،

كـ «حُوريـة بَحْـرٍ» غـير مرئيـة، تتـشكَّلُ داخِـلَ قَـصيدةٍ غنائيّـة لـشاعرنا «ميتسكييفيتش»[27] المسماة: «أحب هذا!».
تملك حرية المغادرة أيْ حرية الطيران
في الوقت ذاتهِ الذي اختفي فيه عن هذا العالم.

---

(27) «آدم ميتسكييفيتش –Adam Mickiewicz» (1798 – 1855): أهـم شـاعر بولـنـدي في تاريخ الشعر البولندي الرومانتيكي، وكاتب مسرحي شعري. كان يواصل إبداعاته الـشعرية وكتاباته عن حركة «التـنوير الكلاسيكي» في بولندا، ليصبح فيما بعد أهم مبدع مـن المبـدعين من شعراء الرومانتيكية الجديـدة في بولـنـدا، بداية مـن قـصيدته المهمـة «قـصيدة إلى الـصِّبا والشباب» و«أحبُّ هذا!» التي ذكرها الشاعر «ميووش» الذي نترجم لـه قـصائده الـشعرية. كان اتجاه العودة إلى مصادر القدرات الإبداعية والعقائد البشرية لـدى « ميتسكييفيتش » هـو المنبع الرئيسي لشعره، وكان في الوقت نفسه مصدرًا لشعوره بالتوازن الأخلاقـي تجـاه نفـسه وأمته – المترجمان.

مَــنْ؟

خلف ضوء الشارع الأحمر ثَمَّةَ أوراق كِسْتنائية فَتية.
من ذا الذي يَرى؟
من أي مكان يأتي، وإلى أين يختفي، من
ذا يكون، ذاك الذي سيكون بدلا منه
يَرى الشيء ذاتَهُ ولكن ليس الشيء نفسه،
هل لأن نَبَضاتِ دمِ ذاك الآخر مُـختلفة؟

وأغصان جُذور الأشجار القوية تـتوغَّلُ تَحتَ مُنْحَدر الطّريق الـمُرْتفع
حيث تتمايلُ الأغصانُ بَعْضُها حَوْلَ بَعْضٍ، عَبْرَ الممرِّ الضَّيق للطريق،
ومن وراء صفوف أعمدة الأشجار، يَتَـفَتَّحُ النهار.
لمن هذا؟ وكيف يتغيَّرُ
عند كل مرة تعود فيها الرُّؤية؟

كُونوا أنفسَكم، أشياءَ هذه الأرض، كونوا أنفسكم.
لا تـعُـوِّلوا علينا، على أنفاسنا،
لا تعوِّلوا على أوْهامنا الخائنة وأَعْيُننا الشَّرِهة.
نحن في شَوْقٍ إليكم، إلى وُجودكِم،
فلتستمروا كما أنتم بذواتكم،
أَصْفياءَ لا يُـنْـظَـرُ إليكم من قِبَـلِ أحد.

مدينة الشباب

من اللَّائق ألّا تَـحْيا. فالحياة ليست بِلائقةٍ،
يقول هذا الذي عادَ بعد سَنوات عديدة
إلى المدينة التي قَضى فيها شبابه. ولم يكن هُناك أحد
من أولئك الذين ساروا معه في هذه الشوارع معًا ،
والآن لم يكن لديهم ثمَّة شيء سِوَى عينيه.
ينظر بديلا عنهم متعثرا
رِجْلاهُ، قبل كل شيء، كانتا تتسمان بالكمال
أَكْثر من أرجلٍ تفتـقدُ وجودَها. كانت الرِّئتان تـتـنفَّسان الهَواء
كما هو المتَّبعُ عند الأحياء، حيث يدق القلب
مُنْدهشًا من ضَرَباته. فالجسد الآن يعدو
دِماؤهُ وشرايينهُ قد تغذَّت بالأوكسجين.
بداخله شَعرَ بأكْبادهم والطحال والأمعاء.
الرّجولة والأنوثة، قد انتهتا، بداخله يَلْتَـقي،
كل خَجَل، كل حُزْن، كل عِشْق.
فإذا كان ما بينهما تَفاهم مَبْدئي،
فلأنه قد تذكر واحدة من تلك اللَّحظات الـمُتَعاطفة،
التي فَصَلتني عنهم وتلاشَتْ،
أما الـمَطر فينقطُ من حُزمةِ زهور «اللَّيْلك»
وجهه، ووجهها في الوقت نفسه.

الـمَرْج

كان هذا مَرْجًا بِجِوار النهر، غنيا بأعشابه، قبل أن يأتي المحصول،
حدث هذا في يوم صاف لوّنهُ احمرار الشمس الذي لا تَشوبه شائبة.
طَوال العمر كنت أبحثُ عنه، وجدته وتعرَّفت عليه.
لقد نَمَتِ الأعشاب والأزهار هناك، غير مجهولة لي ، منذ أن كنت طفلا.
من خلال جفنين شبه مُنْغَلِقَيْنِ استغرقني الضياء.
وطوقتني الرائِحة، وتوقَّف مُـختَلِفُ أشْكالِ الرُّؤية.
شَعَرْتُ فجأة، أنّني أَتلاشى وأَبْكي من السَّعادة.

بيركلي 1992

الواقعيّة

ليس الأمر سيئًا إلى هذه الدرجة معنا، فإذا كان بِمَقْدورنا
أن نعجب بالتصوير الهُولنديّ ، فهذا يعني
أن ما قيل لنا منذ مائة، مائتي عام
نتجاهله بأن نُحرِّك أكْتافنا.
على الرَّغم من أننا قد فقدنا
الكثير من يقيننا السابق. نحن الآن نوافق، على أن هذه الأشجار المختــفية
من وراء النافذة،
والتي ربما تكون موجودة،
تدعي فقط بأنها أشجار، وأنه عَيْن الاخضرار
وأن اللغة تَــخْسر عندما تحاول أن تكافحَ على قَدمِ الـمُساواة
مع مجموعةٍ من التفاصيل الجزئية.
ومع ذلك فهنا، رَغيف خبز، صَحْن من القصدير،
نِصْف ليمون مقـشَّر، مُكَسَّرات، وخُبْز
مستمر وجودها، وبقوة، لدرجة أنه يصعب على المرء ألّا يصدق.
خجول هو فن العبث،
على الرغم من أننا لسنا جديرين بأيّ فنٍّ آخر.
لذلك أتسلَّل ما بين تلك المشاهد الطبيعية،
حيث السَّماء غائمة، ومنها ينطلق شُعاع تِلْو شُعاع

وفي وسط ظَلام السُّهول المنبسطة تشعُّ بُقْعة من الضوء.
أو على شاطئ الخليج، حيث تُوجد الأكواخ والقوارب،
وفوق الجليد الأصفر شخصيات بالغة الصغر.
هذا أبدي، لأنه في إِحْدى المرّات،
عَبْرَ لحظة واحدة وُجد هذا «الأبدي» واختفى.
إشراق - وَمُبْهَم على الإطلاق
يغطّي الحوائط المتشققة، ونِلال القُمامة،
أرضية الحانة، سترات الشّحاذين الضيقة،
المكنسة، وسمكتان تَنْزفان دَمًا فوق اللوح الخشبي.
فلتبتهج! امْنَحْهُمْ شكرك! لقد رَفَعْتُ صَوْتي
ومزجته معهم في غناء كُورالِيّ
ومن بين «الكشكشة» وأطواق الريش، و«التَّنُّورات» الحَريريّة،
تلاشى واحد منهم مُنْذ زمن بعيد.
وحلقت أغنياتنا عاليًا، كالدخان في المبخرة.

بيركلي 1993

هـذا العـالم

يبدو وكأنه كان سُوءَ فهـم.
انتزع حرفيّا، من ذاك الذي كان مُـجَرَّد «بروفة».
فالأنهار بعد قليل ستعود إلى مَنابعها الأولى،
والرياح ستتوقَّف عند مَدارها
والأشجار بدلا من أن تنمو، سوف تَسْعى عائِدةً إلى جذورها
أما المسنون فسوف يُهَرْوِلونَ عَدْوًا خلف الكرة،
سَيَنْظرونَ في الـمَرايا ومن جديدٍ يُصْبحونَ أَطْفالا.
الـمَوْتى يستيقظون، غير مُدْرِكين
أن كلَّ ما حدث، في نهاية الأمر، سيكونُ كما كانَ عليه.
يا لها من راحةٍ! فلتتـنفَّسوا بحريَّة، فقد عانيتم الكثير.

بيركلي 1993

إلى السيدة البروفيسور في الدفاع عن شرف «قِطٍّ» وليس هذا فقط!!

(رَدًّا على مقال تحت عنوان «الوقوف بالمرصاد ضد القسوة» للسيدة ماريا بودرازي - كفياتكوفسكا)

مساعدي الرَّقيق، صغير في حجم نَمِر،
ينام نومًا لذيذا فوق المكتب بجوار الكومبيوتر
ولا يعرف أن السيدة المنتمية إلى جنسهِ غير راضيةٍ عنه.

القطط تلهو بفأر أو بـ«خُلْدٍ»(28) شِبْهِ حَيٍّ،
لكنَّ السيدة تُـخْطئ في تَقْديرها ثانية، فهذه ليست بِقَسْوة.
ببساطة، القطط تَرَى أشياء تتحرك أمامها.

فلنتدارك الأمر إِذَنْ، فهذا مُـجرَّد وعي
يعي للّحظةِ أن تحركه يقتحم داخلَ ذلك «الآخر»،

(28) الخُلْد : حيوان من اللّبونات ، وحيد الجنس والنوع ، رأسه غليظ ، وعيناه تحت الجلد ، يبيض ويرضع - المترجمان.

حيث التَّعاطف مع ألمِ الفأر وذُعْرِهِ.
ومثل «القطّ»، تكون الطَّبيعة بكامِلها،
حِياديَّتها - مع الأسف - في مُواجهةِ الشَّرِّ والخَيْر،
أَخْشَى أن من وراء ذلك مأزقا.

فللتاريخ الطبيعي مَتاحفه.
ولكن علينا ألّا نأتي بأطفالنا هناك؛ فلأيِّ شيء تُفيدهم تِلْكَ الحَيوانات غير السَّويّة،
وتلك الأراضي الزَّاخرة بالأفاعي والزَّواحف مُنْذ مَلايين السنين؟

الطَّبيعة تفترس، الطبيعة مفترسة،
النهار والليل مُنْفَتِحان على الـمَذابح التي تُدَخِّن دِماء.
من الذي خلقها؟ أَمِنَ الـمَعْقول أنها من خَـلْـقِ الإله الطَّيِّب؟

أجل، بلا رَيْبٍ، إنها بَريئة:
العناكب، أَفْراس إِبْليس، أسماك القرش، الثَّعابين الضخمة.
نحن فقط نقول إنها: قَسْوة.

وَعْيُنا وَضمائِرُنا
وَحيدة في الـمَجرَّة الـمُتْخمة الـهَزيلة
ولكنّـها تأمل في رَبِّ الإنسانيّة.

الذي يعد بالنسبة لنا حَنانًا ودفئا وحركة،
فنحن كما قال لنا، مشابهون له.
فإذا كانَ الأمر كذلك، فهو يتعاطف مع
كل فأر مَـمْسوك، وكل طائر جَريح.
فالكون بالنسبة له كالـمَسيح الـمَصْلوب.

وهذه نتيجةٌ طبيعيّة لهجومكم على «القطّ»:
فتكشيرةٌ لاهوتيّة أوجستينيانيّة[29]،
تجعل سَيْرَنا فوق الأرض أكثرَ صُعوبةً.

بيركلي 1993

(29) الأوجستيـنيانية: متعلقة بالقديس أوجستين أو بمذهبه. والشخص الذي تنتمـي إليـه هـذه الصفة، يتبع معتقداته، أو هو راهب متعبد للنظام الأوجستياني - المترجمان.

أَحْداثٌ في مكان آخر

«لَيْسَ من المعقول أن أذهب إلى الجحيم، وأنا الطيب والرقيق!»
- صرخ «آدم» الصغير بقوة، عندما أحاطت به الشّياطين.
كانوا مرتدين رداء أسود وأحزمة حمراء.
سَخروا كثيرًا من «آدم» الصغير، يَحُزُون جوانبه بالمذراة
وكانوا يستخدمون القليل منها للحاجة اليومية.

«لم أؤمنْ، بأن الشياطين مَوْجودة - استطرد «آدم» الصغير المسكين قائلا وهو يَئِنُّ - كنت أؤمن بكم أنتم، ولكن كان هذا فَوْق الأرض».

«هي ها» - أجابوني - «(اللاوجود - العدم) هو تَخَصُّصنا.
وأنت، هل أنت موجود، أيها النفاية؟ لقد وُجِدْت مُجَرَّد لَحْظة وقَدِ انتهت.
منذ تلك اللحظة سوف تبقى معنا في «العدم» وإلى الأبد.

«ما الذي فعلتهُ - كان «آدم» الصغير يَنْدبُ حَظَّه -
ما الذي فعلته، لأكون هكذا تحت تسلطكم؟

«ألا تعرف، «هي ها»، لا تقلق، سَوْف نريك.
كلُّ شيء مُسَجَّل، مُوَثَّـق».
خرجوا سائرين نحو منحدرٍ، وقد أمسكوا به مُعْتَقَلًا وهو يسير وَحيدًا،
تسللوا في مكمن داخل غرفة تحت ظهر مركب صغيرٍ للركاب، مثل
حُرَّاس الحُدود التي اعْتَدْناها،
في هذه المنطقة حَيْث لا يوجد ثمة بشر، والتي لَيْست بعيدةً عن أبواب
الجحيم.

حيث الجبال، عاريةٌ، بلون الكبريت، في شِبْهِ ظلام
حيث تنحدر نَحْوَ السهل المنبسط الغامض المُعْتم.
قادوه إلى القاع، عندئذ صمت ولم ينبس ببنت شفة.

فجأة سمع صوت دوي رمية من علٍ، وكأنّها قذيفة مدوية يَشْدو صَداها
فوق الأرض ، وعندما انتهى الدوي الذي يشبه الرعد،
تضاءل عَدد الشَّياطين رويدا رويدا، كما لو كان الهواء قد تسرَّب منهم،
حتىَّ تلاشَوْا تماما، ومن جديد أصبح «آدم» الصغير وحيدًا.
في تلك السُّترة الضَّيقة المصنوعة من قماش منسوج بيتي، في نِعاله الطَّويلة،
وُجِّهَتْ بندقيةُ «الرَّش» نحو ظهْره، ليقترب منه ويقف من خلفه.

«كنتَ غيرَ مُهَذَّبٍ يا صغيري «آدم»، دائما ما تـُوقِعنا في المتاعب...!
من أين أتتك فكرة، أننا أبرياء؟
هل ظننتَ حقيقة، أنه يمكنك ارتكاب الخطيئة دون شعور بالذنب؟

لقد أرسلوا لنا إعلان الحكم عليك.
«سوف تَكونُ مع مَرْضى الـمُسْتشفى. هنـاك حيـث التّـقيُّحات والقُـرَحُ الـمُوجِعة فوق سرائرهم،
حيث الروائح الكريهة المنبعثة من الأجساد التي تتعفَّن، حيث عويل كلب يتألم،
وألم يصرخ انتـقامًا نحو السماء،
كل يوم يمر هو إِنْكارٌ للعناية الإلهيَّة.
وفي كلمات أخرى.. هذا الكون الوحشي يقـدم عمـلا مَـسْرحيًّا أَقْـربَ إلى «الفودفيل» ،
واختلافه عن الجحيم، في أن هذا العالم ليس بديلًا عن العَدم،
ولكنه يستمر بلا انقطاع في عذاب وألم ليست لهما حدود.
أطْلَـقوا عليها «الـمَطْـهَر». هناك سوف تقوم بالخِدْمة،
حاملا، غاسلا، مُنَـظفا، مُصْغِـيا،
كل يوم سوف تتعلم فيه كيف تتعرَّف على خَطيئتـك،
إلى أن تذعنَ في نِهاية الأمْرِ إلى أنَّك لا تستحق أكثر من ذلك».

حينئذ سوف يذهبُ الرَّسول صاعدًا الجبل الشَّاهِق،
و«آدم» الصغير يتبعه، فهو لا يعرف الطريق بمفرده.

بيركلي 1993

جَسَدٌ

القدرة الإنسانية ليست مُـجَرَّد ألم فقط.
ولكنْ للألم قوة كبرى توجهنا.
الحكمة بجواره يتساقط وجودها،
والسماء الزَّاخرة بالنجوم تَـنْطفئ.

ومن وسط أطلس للتَّـشريح،
حيث احمرار الكبد والاحمرار النّاصع للرِّئة
تلتـقي باللحم الأحمر الأسطواني للأمعاء،
نذير الألم المنبثـق مع استدعائهِ الأَخْرس.
من الحارس البريء المرسل إلى تُخوم الجلد
ويهرول الإنذار عَدْوًا ، إلى حد اللمس سواء كان بالحديد أو النار.

لا دِرْع ولا بوق مَصْنوع من الفُولاذ
العري تحت الأردية وأقنعة الراقصين.
وذلك الهاجس بخَلْع الأزياء فَوْق خشبة المسرح.
لنعرف حينئذ مَنْ أولئك الذين يتجرؤون عليه.

هذا اللون القُرمزيّ الدّاعر تحت شمس القلب
حيث تسري الدماء، تدفئ، تنبض.

رؤى، مناظر طبيعية تـتحرَّك داخل نَبْضها،
حتّى المخ، والقمر الرمادي، والهلال.

وفوق الـمَقْعد المخصَّص لأمراض النساء تفتح الأفخاذ،
الأحشاء تتبعثر بسبب آلام مولد الطفل.
والصَّرخة الأولى، تهدد بالنفي من هذا العالم،
تَـحْتَ النَّهر الجليدي، وفي المدينة الحجرية.

يوليا، إيزابيل، لوك ، تيتوس!
إنه «نحن»، إنها وحدتـنا والشفقة المتبادلتان.
هذا الجسد هَـشٌّ للغاية ومثخن بالجراح،
سيبقى، عندما تُغادِرنا الكلمات.

بيركلي 1993

في « شيتينيه – Szetejnie»[30]

1
كنتِ بداياتي ومن جديد أنا معكِ، هنا حَيْث تعلمت أين تَقَع أَنْحاء العالم الأربعة.

من الأسفل خلف الأشجار، تقع «ناحية» النهر، ومن خلف الأبنية «ناحية» الغابات، وفي اليمين ناحية «القديس فورد – Ford»، ومن اليسار «ناحية» دكان الحِدَادة و«المعدية».

حَيْثُما رحلتُ في أية قارة من القارات، دائما ما يكون وجهي مُتَّجِهًا نَحْوَ النهر.

شاعرًا برائحة نبات عِطْر الجذور، وبمذاقه المُرِّ الأَبْيض الوَرْديّ.

مُصْغيًا للأناشيد الوثنية القديمة لجامعي القمح العائدين من الحقول، عندما تنطفئُ الشمس من خَلْفِ الهضاب في اللّيالي الهادئة.

وفي الخُضرة البريّة كان بمقدوري أن أُحَدِّد مكان «التعريشة» المظللة، حيث أَرْغَمَتْني على أن أضع الحروف الأولى الملتوية.

---

(30) «شيتينيه»: مدينة صغيرة في «ليتوانيا»، ولد فيها شاعرنا «ميووش»، وكانت «ليتوانيا» آنذاك تابعة لبولندا قبل انفصالها عنها الآن – المترجم.

لفظت أنفاسي من مكاني، هارِبًا إلى مَـخابئي، فقد كنت متيقّنًا، من أنني لن أتعلم كتابة الحروف أبدا.

وعلى الرّغم من ذلك؛ لم أكـن أتوقـع أيـضا أن أتعلـم أن العظـم يتـساقط متحولا إلى تراب، مع مرور عشرات السنين، وأن العشب ما يزال باقيا.

وأنه يمكننا، مثلي وأنا معك، أن نحيا في مدينة «المرايـا الأبديـة»، مُـشَيِّدينَ طريقنا، الذي يتسبب عنه في الوقت نفسه ، اتساخُ الأعشابِ غير النهائية.

2

مُـمْسكًا أنا بِعِنان الحصان، واثنان منا يذهبان معـي فـوق العربـة، ضـيوفًا على القرية الكبيرة في الغابة.

حيث فروع أشجار التفاح والكمثرى تنثنى وتتمايل مـن الثـقل المتــزايد للفواكــه، حَيْــثُ أزوقــة البيــت الريفــي، المزخرفــة، عنــد بــساتين «الخُـبَّـازي»[31] ونباتات «السَّـذاب»[32].

تلاميذك القدامى، أصبحوا الآن مـزارعين، استـضافونا، كـانوا يـشعرون بالمتعة، عندما يتحدثون معنا عـن المحاصـيل، أمـا نـساؤهم فقـد جَعَلْنَنـا

---

(31) «الخبّازي»: هو نبات ذو أزهار وردية أو بيضاء اللون وأوراق شـبيهة براحـة اليـد؛ أي مـن النباتات التي لها صلة بالخُبَّازي – المترجمان.

(32) «السَّـذاب»: نبات عطري من نباتات البحر المتوسـط أو جنـوب غـرب آسـيا، ويـستعمل للزينة ، له أوراق مركبة على شكل ريشة ثنائية، تنتج زيوتا طيّارة لاذعة تستعمل في الأدوية – المترجمان.

نشاهد مصنوعاتهنّ النسيجية؛ وتحدثْنَ طويلًا عن ألوان النسيج و«سَداته ولُحْمَته».
فوق المائدة لحوم خِنْزيريّة باردة، وقطع شَمْعية من العسل في وعاء طيني، وشراب حريف في كوب قصديري احتسيتُهُ.

رَجَوْتُ رئيسَ المزرعة التعاونية، أن يريني هذه القرية، أخذني إلى الحقل المنبسط حتَّى الغابة، موقفا العربة أمام صخرة ضخمة مطمورة في الأرض.

«كانت هنا قرية (بايكسفا)» - استطرد قائلا - بصوت تشوبه رَنَّةُ الانتصار، كأولئكَ الذين يقفونَ دَوْمًا مع الجانب المنتصر.

لاحظت أن جزءًا من هذه الصخرة كان مُنْتَزَعًا، وكأنهم كانوا يحاولون أن يكسروا الصخرة بالقادوم، كي تختفي آثارها.

3
هرولت في فجر يوم صيفي ما بين أصوات الطيور وعدتُ، وما بين لحظة وأخرى سطَّرْتُ عَملًا لي.

كان يصعب أن تقتلع اللوح الخشبي عند الحرف (u)، أو أن تغامر مشيدا جِسرًا ما بين الحرف «r» والحرف «z».
أمسكتُ بقصبة وكأنني ممسك بريشة الكتابة، وأسقطت سن الريشة في المحبرة، فأنا كالكاتب الرحالة، يضع محبرته ما بين زُنّاره.

أفكر الآن، في أن عملا إبداعيا واحدا يكون بديلا عن السعادة، ويبقى معرَّضًا للشفقة والرعب.
ومع ذلك فإن رُوحَ هذا المكان ينبغي أن تَكونَ داخِلَهُ، مثلما توجد «داخِلَك»، إنها تَقودهُ منذ الطفولة.

أكاليل الزهور من أوراق شجر «السُّنديان»، إنما هي علامات أوراق الأشجار المتساقطة التي تنبئ باقتراب شهر مايو، لقد أردت أن أكون طيبًا وألا أصير من بين الآثمين.

ولكن عندما أحاول الآن أن أُذَكِّرَ نفسي بما كان، فإنني أتذكر البِئْرَ فقط، حيث هناك ظلمة تجعل المرء لا يعي أو يفهم شيئا.

من المتعارفِ عَلَيْهِ فقط، «أن ثَمَّةَ إِثْمًا وَعِقابا»، كما يقول الفلاسفةُ.

آمل أن يحمل عملي في ثناياه للبشر شيئًا نافعًا؛ كي تـرْجَحَ كفةُ الخير لـديَّ عن الشر.

أنت الوحيدةُ، الحكيمةُ والعادلةُ، بِمَقْدورِكِ تَهْدِئتي، موضِّحةً لي أنني قد فعلتُ الكثير حَسَبَ قُدْراتي.

وأن البوَّابةَ سوف تغلقُ «البُستانَ الأسودَ»، الغرفة، والغرفة، ما هو مُنتهٍ، ما هو مُنْتَهٍ.

بيركلي 1993

تشيسواف ميووش

أشعار مختارة من دواوينه

هذه الترجمة لمختارات من دواوين أهم شاعر بولندي معاصر، هو " تشيسواف ميووش"، الذي أصبح - بعد ترجمة كثير من شعره إلى الإنجليزية - شاعرًا عالميًا يقرؤه الملايين، في كل مكان، تتيح للقارئ بالعربية قراءة "ميووش"، وتعرُّف عالمه الشعري الفريد، ولغته الشعرية المتميزة والموضوعات الحياتية والروحية والكونية، التي شغلته على مدار حياته، فضلاً عن كونه شاعر الحلول في الطبيعة وشاعر الأشواق والتطلعات الإنسانية بالدرجة الأولى، وشاعر التمثل العصري البديع لتراث الإنسانية الشعري، في آدابها الكبرى ، تمثلاً يتوهج بالمعرفة الحية، ويتشح بالسخرية العميقة، ويأسى للمصير الإنساني المحكوم بحتمية الميلاد والموت.

وهى ترجمة أمينة عن البولندية لِمُتَرْجِمَيْنِ على علاقة وثيقة باللغة، وخبرة واسعة بالترجمة، وتمرس باللغة الشعرية الرمزية الصعبة لميووش، غير المألوفة للقارئ العربي، والتي تتطلب جهدًا غير عادىّ في تلقّيها واكتشاف ما بها من جمال .